المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا

حول

مساهمة معمر القذافي في الفكر الإنساني المعاصر



تحرير:

فرج نصر بن لامة



المركز العالمي لدراسات وأبحاث
الكتاب الأخضر

المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا

المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا

حول مساهمة معمر القذافي
في الفكر الإنساني المعاصر

تحرير:

أ. فرج نصر بن لامة

الأوراق التي ألقيت في المؤتمر العلمي الأول

لطلاب الدراسات العليا

(12 من شهر الفاتح 2004)



المركز العالمي لدراسات وأبحاث

الكتاب الأخضر

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي – ليبيا

الطبعة الأولى 2005 م

رقم الإيداع : **2005 / 6599**

ردمك: ISBN 9959-26-123-9



المركز العالمي لدراسات الكتاب الاخضر

www.greenbookresearch.com

هاتف : 218-21-3403611/12

بريد مصور : 00218-21-3330809

بريد الكتروني : info@greenbookresearch.com

المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا

تقديم

إيماناً بدوره الهام في الدفع بالقدرات البحثية وصقلها وتنميتها، وخدمة لرسالة المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر ـ كمؤسسة علمية بحثية ـ في نشر الفكر الجماهيري، فكر النظرية العالمية الثالثة والتبشير به. نظمت إدارة الدراسات والبحوث والشؤون العلمية بالمركز المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا حول **«مساهمة معمر القذافي في الفكر الإنساني المعاصر»** وذلك في 12 من شهر الفاتح 1372 و. ر. (2004).

ويضم هذا الكتاب البحوث والدراسات التي ساهم بها لفيف من طلاب الدراسات العليا داخل الجماهيرية وخارجها.. وتناولت العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تضمنتها المحاور الرئيسية لهذا المؤتمر العلمي.

في الجانب السياسي تناول الطالب إسماعيل خليفة قدارة **إشكالية أداة الحكم في الفكر السياسي: دراسة في ثنائية الحاكم والمحكوم**.. خلص فيها إلى أن هذه الإشكالية تواجه المجتمعات البشرية منذ القدم، وأن لا سبيل للتخلص عن هذه الإشكالية إلا عن طريق الديمقراطية المباشرة كما يجسدها فكر معمر القذافي في الكتاب الأخضر، باعتبار أن الديمقراطية المباشرة تعني سلطة الشعب التي يمارسها عن طريق مؤتمراته الشعبية

ولجانه الشعبية.

في الجانب الاقتصادي تناول الطالب عبدالله محمد انبية موضوع **الاشتراكية الجماهيرية والإنسان**... مستعرضاً جملة الانتقادات التي واجهت النظامين الرأسمالي والماركسي ليخلص إلى أن الاشتراكية الجماهيرية هي النظام الاقتصادي الذي يتناسب مع القواعد الطبيعية ويؤكد قيمة وآدمية الإنسان.

وفي الجانب الاقتصادي أيضاً تناول الطالب حسن إبراهيم ضوء موضوع **ثروة المجتمع وكيفية توزيعها وفق منظور النظرية العالمية الثالثة** تصدى فيه للجانب النظري والعملي في هذا الصدد موضحاً أن الثروة في الرؤية الجماهيرية هي ثروة كل الناس مثلما هي السلطة بيد كل الناس باعتبار أن البناء الجماهيري بناء متكامل سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

في الجانب الاجتماعي قدم الطالب علي المهدي حامد بحثاً بعنوان **البعد الأخلاقي في النظرية العالمية الثالثة** خلص فيه إلى أن البعد الأخلاقي في النظرية الجماهيرية هو الذي أكسبها تميزاً وتفرداً بما يجعلها تتناسب وطبيعة الإنسان عكس كل الأفكار التي كرست علاقات الاستغلال والظلم والاستعباد والعسف، وطمست الجوانب الأخلاقية في العلاقات الإنسانية.

الطالب حسين لطفي لابة تناول **تحليل الدلالات الخطابية في خطاب معمر القذافي** بهدف إظهار قوة الخطاب اللغوية والبلاغية عند المفكر معمر القذافي... الباحث من خلال تحليله لعينة من نصوص خطاب المفكر معمر القذافي خلص إلى أن أسلوب القذافي أسلوب سهل يخاطب المتلقي مباشرة بعبارات وصور بلاغية رائعة وعميقة الدلالات تصل إلى فكر وقلب المتلقي بكل يسر وسهولة.

التصوير القصصي في فكر معمر القذافي هو عنوان البحث الذي تقدمت به الطالبة حميدة المهدي صقر، خلصت فيه إلى أن المفكر معمر

القذافي يرى في الصورة ثقافة ولغة عالمية، وأن الفنان لا بد أن يوظف إبداعاته لخدمة الأفكار الجماهيرية النبيلة التي ترسم صورة مشرقة للبشرية كلها.

الفن في فكر معمر القذافي هو عنوان البحث الذي تقدمت به الطالبة هيام ميلاد زريبة التي أبرزت أن قراءة الكتاب الأخضر قراءة متمعنة تكشف عن أن موضوع الفنون يحتل موقعاً هاماً يتطلب إدراكاً عميقاً لدور الفن كركن هام من أركان الحضارة الإنسانية.

أما الطالبة وسيلة محمص فقد تناولت في بحثها موضوع **رعاية الأطفال الموهوبين في فكر القذافي** بالتركيز على التعريف بنظرية المفكر المبدع معمر القذافي في هذا المجال لتخلص إلى أن القذافي يرى في التربية عملية اجتماعية وإنسانية شاملة.

أفريقيا وفنونها في فكر معمر القذافي هو عنوان البحث الذي تقدمت به الطالبة آمال ميلاد زريبة مبرزة أن فكر معمر القذافي في الكتاب الأخضر «الجانب الاجتماعي» أعطى حيزاً هاماً لقضية السود مؤكداً أن السود سيسودون في العالم.. والفن والإبداع الأفريقي وقوة تأثيره مؤشر حقيقي على أن أفريقيا تملك من الإمكانيات والقدرات التعبيرية ما يجعلها محط اهتمام.

إن أهمية هذه البحوث وتنوعها يكشفان عن قدرة الباحثين الشبان من طلبة الدراسات العليا على البحث والدراسة، وهذا ما حفّز المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر انسجاماً مع رسالته إلى تنظيم المؤتمر العلمي الثاني خلال العام 2005 مسيحي تحت عنوان «**الإشكاليات والتحديات التي تواجه تطبيق سلطة الشعب**» بما يسهم ذلك في إثراء الفكر الجماهيري ويعمل على اكتشاف القدرات البحثية لهؤلاء الشبان وصقلها وتنميتها.

إشكالية أداة الحكم في الفكر السياسي
دراسة في ثنائية الحاكم والمحكوم

إسماعيل خليفة قدارة

تقديم:

إن الناس ومنذ تشكّل الحياة السياسية كانت غايتهم ولا تزال هي الحياة الأفضل، ولا تنتظم حياة الأفراد في المجتمع إلا بوجود سلطة تنظم حياة الجماعات وتحقق حقوقها وتضمن استقرارها. وعلى هذا الأساس كانت إشكالية أداة الحكم والعلاقة بين الحاكم والمحكوم إشكالية تطرح نفسها على الفكر السياسي.

ففي المجتمعات القديمة كانت السلطة تتركز في يد شخص واحد ترتضيه الجماعة، لما يتمتع به من قوة وسداد رأي، قد يفرض نفسه على الجماعة ويمارس تلك السلطة بصفة شخصية كما لو كانت ملكاً خاصاً له، ولكن تقدم الوعي السياسي للأفراد نتيجة لأفكار الفلاسفة في الحقل السياسي، التي كانت بمنزلة السراج المميز الذي تستضيء به الجماعات في ظلمات الأنظمة السياسية المتزمتة؛ جعلهم لا يقبلون هذا الوضع لأن تشخيص السلطة في شخص الحاكم يعني زوالها بزواله وقد يدفعه إلى التحكم والاستبداد.

ولذلك بدأ الأفراد يبحثون عن وسيلة أخرى يتفادون بها تلك المساوئ، فأخذوا يبحثون عن وضع جديد للسلطة السياسية في الجماعة، فاهتدوا إلى فكرة جديدة مؤداها وجوب الفصل بين السلطة السياسية والحاكم الذي يمارسها وإسنادها إلى شخص آخر دائم ومجرد ومستقل عن أشخاص الحاكم؛ ومن هنا ظهرت فكرة الدولة نتيجة التطور السياسي وما نتج عنها من إشكاليات تتعلق بمشكلة الديمقراطية وأداة الحكم.

فالديمقراطية لا تعني وجود حكام ومحكومين كلّ منهم على نقيض الآخر وإنما تعني أن يكون الحكام هم المحكومين والمحكومون هم الحكام.

ولكن لماذا وجود الحكام ولماذا هم حكام؟! ومن هم المحكومون ولماذا هم محكومون؟ وكيف يمكن حل إشكالية أداة الحكم؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذه الورقة، وأتمنى ألا يكون الإيجاز فيها مخلاً ولا الإسهاب فيها مملاً.. وللإجابة عن ذلك رأينا تقسيم هذه الورقة البحثية إلى:

أولاً ـ إشكالية الحكام والمحكومين في فكر فقهاء علم السياسة.
ثانياً ـ إشكالية الحكام والمحكومين في فكر معمر القذافي.

المطلب الأول

إشكالية الحكام والمحكومين في فكر علماء علم السياسة

يتفق مفكرو علم السياسة على أن الحكام هم قلة من الأفراد أو فرد واحد حاكم، يتولى زمام الدولة، وان كانت طريقة وصوله لسدة الحكم عن طريق إجراءات معينة سلماً أو عنفاً.

فالحكام الذين يختارون على الأقل ظاهرياً لحكم الدولة يعتبرون من الطبقة العليا في الدولة أو الصفوة فالحكام هم من صفوة أبناء الدولة.

يقول «ميكافيلي» (إن القلة الحاكمة منذ البداية كان نتيجة الحظ، فالذي يصبح أميراً فهو على جانب من الفضيلة).

إن مفكري علماء السياسة يذهبون إلى أن حل إشكالية العلاقة والتمايز بين الحكام والمحكومين إشكالية مستعصية على الحل، على اعتبار أنه لا يمكن تحقيق الديمقراطية على وجه الواقع، حسب اعتقادهم يقول «جان جاك روسو» (وإذا أخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد؛ فلا تتصور أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر هو المحكوم ولا نتصور بقاء الشعب مجتمعاً على الدوام للنظر في (الشؤون العامة).

وفي موضوع آخر يقول «جون لوك» (هناك قواعد قائمة غير متحيزة وتطبق على جميع الأطراف كما يحكم بواسطة أشخاص تلقوا السلطة من

المجتمع لتنفيذ هذه القواعد).

فقراءة سريعة في أفكار مفكري علم السياسة وإسهاماتهم ومؤلفاتهم تبرز لنا نتيجة ألا وهي أن الديمقراطية شيء رائع وجميل وقضية إشكالية فلا يمكن أن يكون عدد الحكام أكثر من عدد المحكومين.

إن موضوع الديمقراطية أو أنواع الأنظمة السياسية والتعددية والحكومات والحزبية... الخ قد أسهب فيه العديد من المفكرين، فمن الفقهاء من ربط الديمقراطية بالقانون؛ فكلما أطاع الحكام والشعب القانون في الدولة اقتربوا أكثر من الديمقراطية السليمة.

يقول «أفلاطون» (إن أرشد العقول لا يمكنها الاستغناء عن القانون فالقانون هو العقل مجرداً عن الهوى).

ويقول «أرسطو» (وعلى رغم ما قيل في ذلك فإنه حيث يكون القانون عاجزاً فإن فرداً واحداً لن يكون أبداً أقدر منه.... وعلى هذا إذاً حينما تطلب السيادة للقانون فإنما يطلب أن يسود العقل مع القوانين، لأن تطلب سيادة ملك فإنما تطلب سيادة الإنسان والبهيمة لأن جواذب الغريزة وشهوات القلب تفسد الناس حتى أحاسيسهم متى كان لهم السلطات أما القانون فإنما هو العقل مجرداً من الشهوات).

وبعض مفكري الفكر السياسي يقول: إن الديمقراطية تتحقق كلما كان عدد الحكام أكثر من عدد المحكومين.

يقول «أرسطو» (فالحكمة الجماعية لشعب من الشعوب أسمى من حكمة أعقل المشرعين).

يقول «جان جاك روسو» (إن الشعب الخاضع للقوانين يجب أن يكون واضعها).

إذاً اتفق الفقه السياسي على أن الديمقراطية شيء جميل ورائع إلا

أنهم اختلفوا في كيفية وضع آليات لتطبيقها، فمنهم من تشبث بطاعة القوانين في الدولة ومنهم من تشبث بمعيار العدد، ونتيجة لهذا الاختلاف ظهرت صور الديمقراطية وهي الديمقراطية غير المباشرة الأرستقراطية واختلطت السياسة بالاقتصاد في الدولة فظهرت الليبرالية والشيوعية.... الخ.

وهكذا إلى أن أصبح الفقه السياسي لم يعد يبحث في كيفية وضع الديمقراطية وإنما في كيفية وضع الفئة الحاكمة (الحكام) في الدولة أو بالأحرى طبقة الصفوة في الدولة، حتى يكون هناك نظام للحكم مرضي عنه، من قبل المحكومين ولأنهم أطالوا المسافة بيننا وبين الديمقراطية يقول جمع من الفقه السياسي أو بالأحرى فحوى كلامهم (إن الذي يملك القوة في أي نوع من أنواعها أو مصدراً من مصادرها يملك السلطة والنفوذ إذاً فهو من الصفوة).

والصفوة؛ هي فئة تمتلك مقاليد القوة وذلك بفضل قدرتها التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر القوة في المجتمع.

ويرى بعض المفكرين أن الصفوة تعني ممارسة القوة بشكل دائم في أي نظام اجتماعي ويتغير تكوين وطابع الأقليات الحاكمة أو الصفوات بأن تحل صفوات محل صفوات أخرى.

الخلاصة: إن الفقه أو الفكر السياسي يميل إلى أن الديمقراطية شيء مثالي، ولكنها إشكالية سياسية. ومن ثَمّ لا بد من وجود فرد أو قلة من الأفراد يتولون الحكم في الدولة ويحافظون على حريات وحقوق الأفراد في الدولة، فكلما حافظوا على تلك الحريات اقتربوا من الديمقراطية، إذاً الفقه السياسي يرى أن الديمقراطية لا تتحقق إلا بالحفاظ على حريات أبناء الدولة من قبل الصفوات؛ يعني الحاكم أو القلة الحاكمة هم صفوات المجتمع، لماذا؟ لأنهم يمتلكون الحظ والقوة في تلك الدولة.

المطلب الثاني

حل اشكالية أداة الحكم
في فكر «معمر القذافي»

إذا كانت الديمقراطية تعني سلطة الشعب وتحرير الإنسان من كافة أدوات التسلط والقهر، فإن المجتمعات التي تتحكم فيها الصفوة لا يمكن أن تسود فيها الديمقراطية الحقيقية، وإن الصفوة تعبر عن استلاب سلطة الشعب ومن ثم تحكّم الأقلية في الغالبية ونتيجة لذلك ؛ لا يمكن للإنسان أن يتمتع بحقوقه الطبيعية إلا في ظل الديمقراطية المباشرة حيث لا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية. ومن هنا يمكن القول بوجود علاقة وثيقة بين المؤتمرات الشعبية «والديمقراطية المباشرة» فالحقوق الطبيعية هي التي تولد بولادة الإنسان وهي الحقوق والحريات المنصوص عليها في معظم الإعلانات والمواثيق المحلية والدولية بهذا الخصوص.

أما الحقوق المكتسبة فهي الآليات المصطنعة التي من خلالها يتم الاستفادة من الحقوق والحريات الطبيعية وتمتع الإنسان بحقوقه الطبيعية؛ بحيث نستطيع أن نجزم بأن غياب الديمقراطية المباشرة يؤدي إلى غياب تلك الحقوق لأنها ترتبط بها وجوداً وعدماً؛ ويعني ذلك أن لا سبيل لتمتع الإنسان بحقوقه الطبيعية إلا إذا تمكن الإنسان من ممارسة سلطته كإنجاز سياسي اقتصادي اجتماعي، إن الديمقراطية هي سلطة الشعب، هذه مسألة متفق عليها وتعتبر الديمقراطية أسلوباً مثالياً لا خلاف عليه إذا تحقق واقعياً ولكن، الخلاف يأتي من عملية الموازنة بين الرؤية المثالية والواقعية، وفي

هذا الصدد توجد ثلاثة اعتراضات على الأقل في تطبيق الديمقراطية: اعتراض الصعوبة واعتراض التكاليف واعتراض الوقت.

إن الاتجاه الذي يسود الآن في العالم المعاصر لا يدين الديمقراطية في حد ذاتها، فالديمقراطية المباشرة مثالية لا يمكن تحقيقها واقعياً وهي قياس الواقعية، صعبة مكلفة مضيعة للوقت؛ فلا يمكن أن نجمع الناس في مكان واحد لاتخاذ القرارات التي تمس حياتهم المتطورة المتغيرة والمتقلبة، وكثير من القرارات يتطلب النظر فيها وإعادة النظر وتصحيح الانحراف؛ ولذلك تكون عملية اتخاذ القرار مكلفة ومضيعة للوقت، ولذلك وجب على كل فئة من فئات المجتمع أن تتخصص في العمل الذي يناسبها، وأن تتحول عملية اتخاذ القرارات إلى وظيفة يقوم بها جزء من أفراد المجتمع ويتحملون مسؤوليتها نيابة عن الآخرين، ولكن من هذا المنظور يتحول الوضع من ديمقراطية مباشرة إلى دكتاتورية مباشرة؛ لأن الجزء من الأفراد الذين تعطى لهم صلاحيات معينة يتحملون مسؤوليات محددة تكون طريقة وصولهم إلى هذا العمل عن طريق الانتخاب؛ وهذا شكل من أشكال أو وسيلة من وسائل الديمقراطية غير المباشرة، وعليه سوف تبرز ظاهرة انقسام المجتمع إلى حكام ومحكومين وسادة وعبيد، وهنا نعود ثانية إلى نفس إشكالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم أو بالأحرى إشكالية أداة الحكم.

إذا كانت هناك دولة أبناؤها شبه متساوين اقتصادياً وعلى حسب التأصيل الفكري والتاريخي لفكرة الصفوة فإن الأشخاص المتمثلين في الصفوة أو النخبة أو الحكام هم من الأغنياء في الدولة، ونتيجة لهذا الغنى حدث شرخ اجتماعي نتيجة الفوارق الاقتصادية بين الصفوة الحاكمة والمحكومين وهو ما يتطلب إلغاء هذه الفوارق وحلّ إشكالية الحاكم والمحكوم التي لن تحل إلا بالديمقراطية المباشرة التي يتساوى فيها كل الشعب.

وهنا في ليبيا التي تبنت الديمقراطية كأساس للنظام السياسي أقرت أن تكون الديمقراطية مباشرة؛ يعني يحق لكل فرد مهما كان مستواه أن يمارسها ويباشرها وأن يساهم في عملية صنع السياسة العامة في ليبيا، وذلك من طريق مؤسسات سياسية كانت من إبداع الأخ قائد الثورة «معمر القذافي» وهي (المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية) ووضعت لها هيكليتها الإدارية والوظيفية وأوكلت لها مهمة تسيير السياسة العامة في الدولة وامتلاك الجماهير للسلطة ليصبح كل الليبيين سادة وكلهم في موقع السلطة وبذلك فإن إشكالية الحاكم والمحكوم تنحل تلقائياً «السلطة والثروة والسلاح».

الخلاصة: إن المفكر القائد معمر القذافي يجسد في فكره الديمقراطية بكل معانيها، بعيداً عن كل تلفيق وتنميق؛ ونتيجة لتلك النظرة الثاقبة أوجد الآليات المناسبة لنقل الديمقراطية من فكر إلى واقع من خلال المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية. فالمؤتمرات الشعبية أمكنة قريبة من كل فرد، والمواطن الليبي ما عليه إلا أن يذهب إلى هذا المؤتمر القريب منه جداً حتى يستلم صولجان الحكم، فمن يحضر المؤتمرات الشعبية هو الحاكم لأنه يملئ قراراته ففي ليبيا ووفقاً لفلسفة «معمر القذافي» إن الحاكم لا يصل إلى سدة الحكم عن طريق الانتخاب أو الوراثة.... إلخ، وإنما يتربع على كرسي الحكم عندما يذهب إلى المؤتمر الشعبي ويناقش أموره وقضاياه الداخلية منها والخارجية، ومن لا يحضر المؤتمر الشعبي الأساسي فهو كالشخص الذي يؤتى له بكرسي وصولجان الحكم ويرفضه، ومن يرفض أن يكون حراً إلا من كان به عيب في الإرادة أي نقص الأهلية أو مجنوناً أو معتوها.... الخ.

فمعمر القذافي أراد أن يجعل من المجتمع الليبي بكامله مثالاً لباقي المجتمعات، إذاً فالعقلاء هم من يحكمون الدولة بحضورهم المؤتمر الشعبي وغير العقلاء من لا يحضرون المؤتمر فلا تشترط أي شروط في

الحاكم، أما أعضاء «اللجان الشعبية» فإن مهمتهم تنفيذ ما يقره الشعب في مؤتمراته الشعبية.

إذاً فالمؤتمرات الشعبية هي نهاية المطاف لحل إشكالية أداة الحكم وإشكالية الحاكم والمحكوم وهذه في رأيي الخاص؛ أرقى فكرة وصل إليها الفكر السياسي المعاصر للحفاظ على الحقوق والحريات، ولتجسيد الديمقراطية بمعناها الحقيقي والأصيل.

الخاتمة:

في هذا المطاف يقول بركليس في مرثيته (ونحن وحدنا بين الأمم لا ننظر إلى الرجل الذي لا يهتم بالشؤون العامة على أنه مسالم وغير مضر وإنما نعتبره عديم النفع ولا خير فيه).

إن الديمقراطية الحقة بغض النظر عن التلفيقات التي أحيطت بها، من قبل الغرب من مباشرة وغير مباشرة يظهر لنا أن الفكر السياسي الغربي يعتمد ديمقراطية رجل واحد حاكم أو ملك.

فالفقه السياسي الغربي تناول موضوع فلسفة الحكام والمحكومين بين مد وجزر، فغالبية الفكر السياسي جعلت لفئة الحكام أو بالأحرى طبقة الصفوة معايير وشروطاً وإجراءات شخصية مبنية مسبقاً للاتصاف بهذه الصفة، وعلى النقيض من ذلك ظهر فكر سياسي جديد له رؤية خاصة في هذا الموضوع ألا وهو فكر القائد «معمر القذافي» الذي نادى وينادي وسينادي بالديمقراطية المباشرة الديمقراطية الحرة الديمقراطية الحقة، وذلك من خلال نظرته الأيديولوجية الخاصة حول مفهوم الحكام والمحكومين حيث إنه رفض هذا الشرخ الاجتماعي بين هاتين الفئتين فأراد أن يكون المواطن الليبي حاكماً لنفسه دون نيابة أو وصاية، وذلك بأن جعل المعايير والشروط والإجراءات المبنية مسبقاً للاتصاف بصفة الحاكم شروطاً مكانية بسيطة جداً؛ فما على المواطن الليبي إلا حضور الملتقيات الاجتماعية

(المؤتمرات الشعبية الأساسية) المنعقدة بجواره حتى يتربع على كرسي الحكم. فالمواطن الليبي الذي يحضر المؤتمرات الشعبية الأساسية هو حاكم لليبيا في جميع المجالات، وهو كذلك يحكم بما يتوافق مع مصالحه ومصالح دولته.

وبالإضافة إلى ذلك جعل المفكر «معمر القذافي» ووفقاً لأيديولوجيته السياسية أن المواطنين الذين ينفذون قرارات وأوامر أولئك الجماهير يكونون قد صعدوا شعبياً وبشروط وإجراءات خاصة حتى يتم تنفيذ أوامر الجماهير بالشكل القانوني السليم ودون أي إهمال أو تقصير. وهذه فرصة ممنوحة لكل مواطن ليبي حتى يصبح حاكماً لكي يعيش حياته كما يريد، فكما يقول «الإنكليز» (الحياة قصيرة فعشها كما تريد).

قائمة المراجع

1 ـ معمر القذافي - الكتاب الأخضر، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر 2، 3، 4، 5، و6.

2 ـ شروح الكتاب الأخضر، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس.

3 ـ الدكتور إبراهيم أبو خزام، شرح القانون الدستوري الليبي، الكتاب الثاني، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، الطبعة الأولى، سنة 1997.

4 ـ الدكتور محسن خليل، النظم السياسية، القانون الدستوري، منشأة معارف الإسكندرية، الطبعة الثانية، سنة 1965.

5 ـ الأستاذ مصطفى الطيب، الديمقراطية في الميثاق بين النظرية والتطبيق، مجلة الطليعة، القاهرة، العدد السادس، سنة الثانية، سنة 1966.

الاشتراكية الجماهيرية والإنسان

عبد الله محمد انبية

إن مسيرة الإنسان في حياته سواء كان في الأجيال السابقة أو حتى المعاصرة وعبر مراحل تطور الحياة التاريخية اثبتت أن الحياة في هذا الكون تقوم على الحاجة أولاً ثم على الرغبة ثانياً بحكم طبيعة الإنسان ككائن حي كحاجته إلى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركوب والمعاش... إلخ.

فهذه الحاجات والرغبات المتعددة بالضرورة ستجعل الإنسان يتطلع ويبحث في شتى مجالات الحياة عن فرصة لتأمين قوته وحاجاته التي يحتاج إليها ولهذا فقد يقوم الإنسان في بعض الأحيان بامتهان مهنة أو حرفة أو عمل دون أن يكون له علاقة بها وذلك لحاجته إليها وفقاً لمتطلبات ومعطيات التطور، إلا أن ذلك التطور التاريخي الهام في حياة الإنسان قد ظهرت فيه محاولات نظرية لحل المشاكل الاقتصادية التي يعيشها الإنسان في أوساط بيئية غنية وغزيرة بالخيرات والإمكانيات والعلوم والمعارف أو حتى خلاف ذلك، فالإنسان في هذه النظريات ذلك الكائن الحي الذي يكد ويجد ولكنه لا يحصل على ما يساوي جهده تماماً أو تقريباً على حد العموم وهذا يرجع إلى أن هناك من الأذكياء والحذاق واللبقين الذين يتفننون في إيجاد الطرق من أجل سرقة جهد الإنسان، فإنهم يسلكون سبيل

الظالمين من أجل أن يستحوذوا على رأس المال اللازم ليصبحوا به مسيطرين بشكل أو بآخر على الإنسان وهذا التشبيه سائر على الأفراد أو حتى الحكومات ونظام الدولة في استغلال الإنسان.

إذاً هكذا هو وضع الإنسان، فالسؤال الذي يطرح نفسه: من هو الإنسان «**هو ذلك الكائن الحي ومخلوق من مخلوقات الله عز وجل كرمه وميزه بميزة العقل**» هذا الكائن الحي هو مركز تجمع الخبرات التي يشتمل عليها نظامه الداخلي والتي تثير اهتمامه في أي لحظة من اللحظات وتمثل هذه الخبرات في مجموعها المجالات الخاصة بالفرد على اختلاف أوجه الأنشطة بمعنى أن الإنسان هو وراء أي عمل وعلم في الكون بحكم تميزه بالعقل صانع الحضارة فبديهي أنه يفكر ويحلل ويحس ويشعر... الخ، فبالفطرة الطبيعية للإنسان وكما أكد ذلك العالم (**كارل روجرز**) (Carl Rogers) أن الإنسان يتجه نحو التطور وإلى الأفضل في كافة المجالات بشكل إيجابي.

كما أن الإنسان عندما يتمتع بالحرية النفسية التي لا تكون فيها القوى النفسية مقيدة فإنه يصبح في وضع يكون فيه أقدر على الشعور والإحساس بجميع حاجاته، مع إدراك متطلبات البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيشه، ويكون قادراً على العطاء والعمل بكفاءة وفاعلية (**لأن الإنسان موهوب بالعقل**) ومن ثم فهو مصدر الإبداع والقدرة على استخدام مختلف العناصر الأخرى المكونة للعملية الإنتاجية والخدمية استخداماً أمثل لها بل إنه يدفعها ويطورها دائماً إلى الأحسن.

ومن هذا وذاك كانت فكرة ورقتي هذه حتى نقوم بالربط بين أصلين هما (**الاشتراكية الجماهيرية والإنسان**)، ونعني هنا اشتراكية كل الناس أي (**الجموع البشرية**) التي تعيش في مواقع العمل والبناء المختلفة لتكسب حقها مقابل عرقها دون ظلم أو قهر حتى يتساوى الجميع ويتم القضاء على كافة الأمراض والمشاكل الاقتصادية التي أصاب وباؤها الإنسان.

نأتي ونعرف علم الاقتصاد فنقول:

ـ (هو ذلك العلم الاجتماعي الذي يهتم بدراسة وتحليل الطريقة التي يستخدمها الأفراد في توزيع وتوظيف الموارد الاقتصادية المحدودة وذات الاستعمالات البديلة في إنتاج السلع والخدمات المختلفة من أجل الاستهلاك الحالي أو المستقبلي لغرض تحقيق أكبر إشباع ممكن للحاجات البشرية).

وعرّفه عالم الاقتصاد الرأسمالي الإنجليزي آدم سميث (Adam Smith) في كتابه ثروة عام 1776م بأنه **(هو العلم الذي يبحث في طبيعة الثروة وما يتعلق بها)**، والجدير بالذكر هنا أن هناك علاقة وثيقة بين علم الاقتصاد والعلوم الأخرى ويعتبر كما ذكرنا سلفاً علماً اجتماعياً.

أما النظرية فتعرّف بأنها: هي مجموعة المبادئ والأسس والطرق والأساليب والمعايير العلمية التي تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة في مجال من المجالات.

وأما النظرية الاقتصادية: ـ فهي مجموعة المبادئ والأسس والطرق والأساليب التي تعمل على تحرير الواقع من تعقيداته المتعددة وتبسيطه لتسهيل فهمه واستيعابه باستخدام الشرطين الاثنين:

1 ـ أن تكون فرضيات النظرية سليمة.

2 ـ أن تكون النظرية قابلة للاختبار.

وتهدف النظرية الاقتصادية إلى:

1 ـ دراسة الكيفية التي يعمل بها الاقتصاد الوطني.

2 ـ تعالج قضايا اقتصادية مثل **(البطالة، الرواج، الانكماش، الإنتاج، الاستهلاك وغيرها)**.

3 ـ دراسة الأسباب التي تؤدي إلى زيادة السلع والخدمات والأسعار في فترة زمنية معينة.

4 ـ شرح ظاهرة التوظيف الكامل لطاقات المجتمع.

ـ أهم رواد النظرية الاقتصادية الرأسمالية على سبيل المثال هم:

* آدم سميث Adam Smith ويعتبر مؤسس علم الاقتصاد وهو عالم إنجليزي وضع نظرية القيمة وظهر في القرن الثامن عشر.

* بنثام Pintham عالم اقتصاد إنجليزي ظهر في مستهل القرن التاسع عشر ووضع مجموعة الفروض المتعلقة بمنفعة الدخل.

* دايفيد ريكاردو D. Rikardo أحد علماء الاقتصاد الرأسمالي حيث تناول **(الثروة، المنفعة، القيمة)**.

* دوبوي Dupuit عالم اقتصاد رأسمالي تناول المنفعة الحدية ووضع نظرية للأسعار وفائض الاستهلاك.

* خوشون Gossen عالم اقتصاد رأسمالي تناول قوانين الإشباع المتعلقة بالفرد في الاستهلاك.

* كينز اهتم بدالة الاستهلاك في المدى القصير وكوزنتس اهتم بدالة الاستهلاك في المدى الطويل وروسو وبرودون وغيرهما.

ـ أما النظرية الشيوعية فأهم روادها على سبيل المثال:

* كارل ماركس CarlL Marks عالم اقتصاد شيوعي اهتم بوضع أسس ومرتكزات النظرية الشيوعية **(الاشتراكية العملية)**.

* اوسكار لانغ Oskar Lang عالم اقتصاد شيوعي اهتم بنفس فروض ماركس في الشيوعية.

* إنجلز Engiels أيضاً كانت له نفس اهتمامات ماركس في الشيوعية.

* لينين Lenin وهو أحد علماء النظرية الشيوعية وقام بتطوير الاشتراكية العلمية.

ـ والآن نعرج معرفين النظام الاقتصادي فنقول كلمة النظام ماذا تعني؟

تعريف النظام: ـ هو عبارة عن مزيج مترابط من العناصر المشتركة وظيفياً والمصممة لتحقيق هدف معين.

تعريف النظام الاقتصادي: ـ هو مجموعة من القواعد والمؤسسات والمنظمات التي يختارها المجتمع كأسلوب ووسيلة لحل المشكلة الاقتصادية، ويضع المجتمع الإطار القانوني لتنظيم وتحديد أشكال هذه المؤسسات وفقاً لعاداته وتقاليده وقيمه الأخلاقية والدينية والاجتماعية.

وأي نظام اقتصادي على اختلاف توجهاته فإنه بالتأكيد يهدف إلى تحقيق أهداف معينة.

هدف النظام الاقتصادي: ـ هو حل المشكلة الاقتصادية بكامل تركيبتها أي إيجاد الموازنة بين حاجات ورغبات الأفراد وبين الموارد الاقتصادية المتاحة.

وظائف النظام الاقتصادي:

1 ـ تحديد نوع السلع والخدمات المنتجة للمستهلك.

2 ـ زيادة الطاقة الإنتاجية.

3 ـ تنظيم وتوزيع وتصريف الإنتاج.

تعريف النشاط الاقتصادي : ـ وهو أي نشاط نتيجة جهد مبذول يهدف إلى إنتاج السلع والخدمات التي تؤدي إلى إشباع حاجات أفراد المجتمع وتؤدي إلى تحقيق دخل لصاحب النشاط خلال فترة زمنية معينة.

وبهذا نكون قد وضحنا الفارق بين مصطلح (**النظرية والنظام والنشاط**) وحقيقة الأمر أنه من خلال تتبع الفكر الاقتصادي عبر التاريخ الاجتماعي وجدنا أنه أنتج عدة أنظمة اقتصادية وتختلف فيما بينها وتتشابه في بعض الأحيان إلا أنه يبرز وبشكل كبير سابقاً نظامان رئيسيان هما النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي الشيوعي إلى جانب وجود نظام اقتصادي حديث العهد وهو النظام الاشتراكي الجماهيري الجديد، كما أن الفكر الاقتصادي مر بمراحل عدة يمكن إيجازها في خمس مراحل رئيسية لتطور الفكر الاقتصادي وهي:

1 ـ **مرحلة العهد البدائي**: ـ وهذه المرحلة امتدت منذ خلق الإنسان وظهوره على وجه الأرض حيث إنه لم يكن لديه نظام اقتصادي علمي موضوع سابقاً ولهذا كان الإنسان يعيش على الطبيعة الفطرية، ويأكل ثمار الأشجار وما يصطاده من الحيوانات، ما يستر به عورته وفيها الإنسان عاش طبيعياً.

2 ـ **مرحلة النظام الإقطاعي**: ـ وهذه المرحلة امتدت منذ القرن التاسع بعد الميلاد إلى القرن الرابع عشر وتحديداً في أوروبا وفي هذه المرحلة عاش الإنسان معدوم الحرية.

3 ـ **مرحلة النظام الرأسمالي**: ـ هي مرحلة امتداد للنظام الإقطاعي حيث ظهرت طبقة من التجار الذين استحوذوا على الثروة في ظل نظام الإقطاع وأصبحت تتحكم فيها، وامتلكت زمام الأمور المختلفة، أي تحكمت قلة من الأفراد في حاجات الأكثرية ومن ثم فهي أيضاً ظلم صارخ للإنسان.

4 ـ **مرحلة النظام الشيوعي (الماركسي)**: وهي منذ بداية القرن التاسع عشر وببداية الثورة البلشيفية وإلى نهاية انهيار الاتحاد السوفياتي التي لم يختلف حال الإنسان فيها عن سابقتها أي أنه لم يتغير شيء بالنسبة للإنسان.

5 ـ **النظام الاشتراكي الجماهيري الجديد**: وهي مرحلة حديثة وتجربة جديدة حيث تتصف بالملكية الخاصة المقدسة لوسائل الإنتاج وذلك في حدود إشباع الحاجات وحدود المجهود الشخصي، وملكية جماعية تقوم على «الشراكة وشركاء لا أجراء».

أما عن النظريات الاقتصادية السائدة في العالم، فمن حيث العدد والنوع والأصل فهي تقريباً ثلاث نظريات:

(النظرية الرأسمالية، النظرية الشيوعية، النظرية العالمية الثالثة (الجماهيرية)) إذا ما تم استثناء باقي النظريات المتذبذبة أو ما يسمى (الأنظمة الإصلاحية) ذات الحلول التلفيقية.

فمن حيث النوع فكل منها تنادي على أنها نظرية اجتماعية ولصالح الإنسان، ومن منطلق أن علم الاقتصاد هو علم اجتماع إلا أن النظرية الرأسمالية ابتعدت تماماً عن الركيزة الاجتماعية وانصب اهتمامها على رأس المال والكفاءة الإنتاجية للعاملين وتزعّم رب العمل وتحكّمه في العمال وهي ترعرعت في أوروبا الغربية وأميركا.

وأما عن النظرية الشيوعية فقد انصب اهتمامها على تكدّس الإنتاج وتحول مركز اهتمامها من الإنسان إلى الدولة ككل فهي وقعت في نفس الخطأ إلا أنه من نوع آخر إذ استولت على إنتاج الإنسان بحجة اشتراكية الدولة وترعرعت في آسيا وتحديداً في الاتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية أي ما يسمى بمنظومة الدول الاشتراكية مثل **(الاتحاد السوفياتي، الصين، يوغسلافيا)**.

وأما عن النظرية العالمية الثالثة **(الجماهيرية)** فهي جديدة في طرحها وتحمل من المبادئ والأُسس الطبيعية والقواعد الإنسانية التي اتخذت من القواعد الطبيعية منهجاً طبيعياً عادلاً لكافة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذه النظرية تستمد من هذه القواعد والقوانين والعلاقات

الطبيعية وهي أقرب إلى الإنسان وطبيعة الحياة ذاتها. وسوف نتعرض لها بشيء من التفصيل في ما بعد ومصدرها وأصلها من الجماهيرية العظمى من وسط أفريقيا السمراء.

فهذه النظريات كان لها نتاج حتمي ألا وهو النظام الخاص لكل نظرية أي أن الأنظمة هي وليدة النظريات فيبرز على غرار كل منها الأنظمة الآتية (النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي والنظام الاشتراكي الجماهيري) وكي نقف على الحقيقة نستعرض بشكل مختصر وسريع لمحة على كل نظرية ونظامها.

أولاً ـ النظرية الاقتصادية الرأسمالية:

تنطلق هذه النظرية في صورة نظامها الاقتصادي الرأسمالي أساساً من أن السوق تقوم بالدور الرئيسي في تخصيص الموارد، فعندما يقبل المستهلكون على شراء سلع معينة يرتفع سعرها ولذلك يزيد المنتج من إنتاجها ومن ثم تسويقها. وأيضاً يؤكد رواد هذه النظرية أن التوازن بين المصلحة الفردية ومصلحة المجتمع **(الدولة)** يحدث تلقائياً باعتباره يعتمد على المنافسة.

تعريف النظام الرأسمالي: هو ذلك النظام الذي يتصف أساساً بالملكية الفردية الخاصة لوسائل الإنتاج، وتسخير هذه الوسائل من قبل الأفراد لتحقيق الربح تحت ظروف الحرية الاقتصادية والمنافسة الكاملة.

المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها النظام الرأسمالي:

1 ـ الحرية الاقتصادية.

2 ـ الملكية الفردية أو الملكية الخاصة.

3 ـ الربح كحافز على الإنتاج.

4 ـ المنافسة الحرة وآلية جهاز الثمن.

5 ـ نظرية التوافق الاجتماعي.

خصائص (مميزات) النظام الرأسمالي:

1 ـ حرصه وقيامه على الملكية الفردية أو الخاصة لأدوات الإنتاج.

2 ـ يعتبر الربح فيها الحافز والمحرك الأساسي لعملية الإنتاج أو تحقيقه.

3 ـ يتميز بحرية اختيار النشاط الاقتصادي للأفراد.

4 ـ يتميز بتحقيق التوازن بين المصلحة الفردية ومصلحة المجتمع على حد قول رواد هذه النظرية، ويزعم القائمون بهذا النظام أن التوازن يحدث تلقائياً.

5 ـ يعتبر أي نشاط اقتصادي يقوم به الفرد مشروعاً ما دام يهدف إلى تحقيق المصلحة الفردية.

6 ـ تعتبر السوق فيه هي محور النشاط الاقتصادي.

أهدافه:

يهدف إلى توفير السلع والخدمات لإشباع الحاجات وحل المشكلات الاقتصادية والاهتمام بالإنتاجية أما من حيث الواقع فإنه تحول إلى نظام قاتل ملكت فيه أقلية حرية الأكثرية.

عيوب النظام الرأسمالي:

1 ـ التعارض بين مبدأ المصلحة الفردية والمصلحة العامة للمجتمع.

2 ـ سوء توزيع الثروة والدخل.

3 ـ التعرض للأزمات والتقلبات الاقتصادية.

4 ـ فتح المجال أمام الكسب دون جهد ودون حد.

5 ـ فشل النظام في تحقيق مجتمع أفضل.

6 ـ عدم الاهتمام بالجانب الإنساني في الحياة الاقتصادية.

7 ـ قتل روح التعاون وظهور الصراعات والأنانية والقضاء على الروابط الاجتماعية.

أهم أوجه النقد (الانتقادات) التي توجه إلى النظام الرأسمالي:

1 ـ يؤدي إلى رفاهية اقتصادية للفرد على حساب الجماعة أو المجتمع مما يؤدي إلى ظهور التمايز الطبقي بين أبناء المجتمع.

2 ـ بهذه المعتقدات يكون هذا النظام الرأسمالي سبباً لاستعمار الشعوب والدول الضعيفة والاستيلاء على خيراتها وهذا من الآثار السلبية لهذا النظام.

3 ـ يساعد على وجود البطالة في فترة الانكماش كما أنه يتعرض للأزمات الاقتصادية منها تكدس الإنتاج حيث يتجه الأفراد إلى الإسراع والانهماك في الإنتاج لغرض الحصول على الربح كما أنه سبب التضخم في بعض الأحيان.

4 ـ يتعرض لتدخل الدولة في حالات متعددة كوجود مشاكل وأزمات منها الركود، التضخم وغيرهما.

5 ـ الخلل الكبير والواضح في الكيفية التي تنتقل بها الثروة والملكية إلى الأجيال القادمة هل وفقاً لنظام وراثي أم بحق البيع والشراء أم الهبة فماذا يكون نصيب باقي أفراد المجتمع؟

6 ـ كما أن الرأسمالية ناقضت نفسها في أهدافها حيث إن التقنية أدت إلى زيادة الإنتاج بشكل كبير ولكن لكونه إنتاجاً آلياً بلا منتج يشترى

فإنه يسبب بطالة بعض أبناء المجتمع فإن الإنتاج لا يجد مستهلكين فتحدث أزمة اقتصادية وهي تكدس الإنتاج.

7 ـ إن إطلاق العنان للأفراد في ممارسة أي نشاط اقتصادي يرغبونه يعني أنه قد يتجمهر الأفراد لمزاولة أنشطة معينة محدودة كتلك المدرة للربح حرصاً منهم على تحقيق الربح فهذا سيأخذهم بعيداً عن تحقيق الإنتاج والخدمات المختلفة والمطلوبة في كافة المجالات لإشباع حاجات المجتمع دون ممارسة باقي الأنشطة، كما أنه سيؤثر سلباً في كثير من طبقات المجتمع الأخرى.

خلاصة القول في الرأسمالية **(إن الرأسمالية لعنة حولت أعظم إنجازات الإنسان ضد الإنسان نفسه، لقد حولت التقدم التقني إلى كابوس يجثم على العمال ويهددهم).**

نتائج الرأسمالية:

ازدهار اقتصادي إلا أنه على حساب جهد العمال والإنسان البسيط في هذه المجتمعات.

ثانياً ـ النظرية الشيوعية (اشتراكية الدولة) وتسمى الاشتراكية العلمية:

حيث ركزت في بدايتها على وجود تناقضات في النظرية الرأسمالية ومنها على سبيل المثال نظرية فائض القيمة.. وغيرها من التناقضات الأخرى، أي أن النظرية الشيوعية (الماركسية) ظهرت نتيجة رد فعل عكسي للعلاقات الظالمة في النظام الرأسمالي، وتنطلق الشيوعية من فكرة المصلحة العامة أي مصلحة الدولة ككل دون النظر في المصلحة الفردية فترى فيها مثلاً التخطيط مركزياً وتقوم فيه لجنة مركزية بتخصيص الموارد كما تقوم بتحديدها وتوزيعها وتوزيع الإنتاج على القطاعات المختلفة في

المجتمع، وهي ظهرت في القرن التاسع عشر بريادة العالم الاقتصادي كارل ماركس (Carl Marks) الذي يرى أن العامل الاقتصادي عامل ومحرك أساسي في النظام الاجتماعي، وذلك منذ بداية الثورة البلشيفية وامتدت حتى نهاية انهيار الاتحاد السوفياتي كأحد الأقطاب الاقتصادية في العالم، وتسمى النظرية الماركسية (الاشتراكية العلمية) وذلك لاستنادها إلى مجموعة أسس ومبادئ فلسفية واقتصادية، وهي تؤمن بملكية الدولة العامة لكافة وسائل الإنتاج وتقوم بتوجيهها لتحقيق إشباع حاجات الأفراد بالمجتمع.

المبادئ الأساسية للنظام الشيوعي (الماركسي):

1 ـ إلغاء الملكية الخاصة وإحلال الملكية العامة بدلاً منها.

2 ـ الاعتماد على جهاز التخطيط أو أسلوب التخطيط في اتخاذ قرارات الإنتاج وليس على جهاز الثمن.

3 ـ العدالة في التوزيع.

4 ـ عدم الاعتراف بالربح كحافز على الإنتاج.

الأسس التي يرتكز عليها النظام الشيوعي (الماركسي):

أولاً ـ الأسس الفلسفية: وهي التي تتعلق بالتحليل الماركسي وهو التفسير المادي للتاريخ إلى المنطلق الجدلي.

ثانياً ـ الأسس الاقتصادية: التي يثبت فيها ماركس أن النظام الرأسمالي يخضع لقانون التطور الّذي يعتمد على الصراع الطبقي والتي وصف فيها الرأسماليين بأنهم يستغلون جهد العمال.

خصائص (مميزات) النظام الشيوعي:

1 ـ يتميز بالملكية العامة للدولة أو الحكومة.

2 ـ يقوم على أساس التخطيط المركزي.

3 ـ يغلب على السوق فيه طابع الاحتكار.

أهدافه النظرية:

تسعى إلى سعادة الإنسان ومعالجة كافة المشاكل الاقتصادية التي يعيشها الإنسان إلا أنها زادت الطين بلة ولم تغير شيئاً في وضع الإنسان.

عيوب النظام الشيوعي (الماركسي):

1 ـ انعدام حرية الفرد الشخصية.

2 ـ عدم القضاء على الاستغلال الّذي قام من أجله.

3 ـ عدم القضاء على الطبقية.

4 ـ انخفاض إنتاجية العامل.

5 ـ سيادة نمط الاستغلال وذلك بسيطرة الحزب الحاكم على مقدرات الأمور.

6 ـ عدم التركيز على الإنتاج بما يخدم الأفراد.

7 ـ خلق البيروقراطية والمكتبية.

أهم أوجه النقد (الانتقادات) التي توجه إلى النظام الشيوعي (الماركسي):

1 ـ اعتماده على نظرية قيمة العمل فيعتبر العمل العنصر الوحيد في العملية الإنتاجية.

2 ـ يبين ويؤكد النظام الشيوعي لصاحبه كارل ماركس الّذي أكد على نظرية المراحل وقال إن الاشتراكية لا تحقق إلا بعد مرور المجتمع بمرحلة الرأسمالية أي كتطور طبيعي.

3 ـ يفترض ماركس حتمية التطور في اتجاه معين وهو نحو الأرقى وخلال زمن معين.

4 ـ يبين ماركس أن رأس المال في النظام الرأسمالي يتكدس عند قلة من الأفراد في يد طبقة معينة ويسبب انقسام المجتمع إلى صنفين متصارعين ولكن نرى أنه وفقاً للماركسية يتجمع رأس المال عند الحكومة أو الدولة وبالتالي انتقال الثروة من الفرد الواحد إلى الحكومة دون أن يحصل العمال على حقوقهم.

5 ـ يُخضع ماركس التطور للمنطلق الجدلي وقانون صراع الطبقات حيث يتمسك ماركس بأن الشيوعية هي المرحلة النهائية للشعوب بعد فشل التجربة الرأسمالية.

6 ـ أن الأساس النظري يتسم بالتبسيط الزائد عن اللزوم مما أفقده دقة التحليل العلمي.

أما من حيث نشأتها وأصولها فإننا أشرنا إليها سابقاً.

نتائجها :

إن ما أنتجه النظام الشيوعي هو استعباد الإنسان وسرقة جهده وعرقه دون أن ينال أبسط حقوقه فيها مما أسفر عن وجود علاقات ظالمة أيضاً بين الأفراد والدولة، ويكفي أن الإنسان فيها استمر في الوضع نفسه المزري، ذلك الإنسان المغلوب على أمره المسلوب الإرادة.

أما نظرة الأنظمة الاقتصادية السائدة في العالم للإنسان، فمن حيث التخصيص والواقع العملي نقول:

1 ـ نظرة النظام الرأسمالي إلى الإنسان:

استناداً إلى المذهب الرأسمالي الّذي يتضح وفقاً لنظامه الاقتصادي فإنه ينظر إلى الإنسان ذلك الأجير والعبد المستأجر من قبل رب العمل

الّذي يطلب منه أن يعمل وينتج وتحت أي ظرف من الظروف حتى وإن كان هذا الإنسان مريضاً أو عاجزاً... إلخ، ودون أن يعطيه حقه الطبيعي مقابل جهده الّذي يبذله، وفي ظل هذا النظام الرأسمالي نجد تحكم أرباب العمل في أجور العمال بل ذهبوا إلى حد استغلالهم والتحكم في حاجاتهم الضرورية الأساسية كتحكم أصحاب المساكن في المستأجرين،عليه فوضع الإنسان في هذا النظام مستعبد وأجير ومهضوم الحق لأن من تحكم في حاجته تحكم فيه وتحول الإنسان إلى وسيلة من وسائل الإنتاج والعمل موظفة طبقاً لمصلحة وعقلية رب العمل.

إذاً العلاقة التي أفرزتها الملكية الرأسمالية هي التي كانت موضوع الهجوم على العمال، وهي علاقة تتعارض فيها مصلحة العاملين مع مصلحة الرأسماليين ولا يمكن الموازنة بينهما مطلقاً حيث أكدت الطبقة المالكة هذا الاستعباد من خلال سنها القوانين والتشريعات التي تكفل سيطرة تلك القلة على الغالبية، فالحقيقة العملية أن الرأسمالية تمارس وبشكل كبير جميع أنواع الاستغلال بل إنها مارست ذلك حتى على المرأة التي تعتبر طبيعتها الفسيولوجية تختلف عن الرجل، وكان مثال ذلك استغلال المرأة في مناجم الحديد والأعمال الثقيلة التي تتطلب المجهود العضلي وتتنافى مع طبيعتها، فمجموعة عديدة إذاً من المشاكل والأمراض الاقتصادية التي ظهرت في ظل هذا النظام الّذي تجاهل الإنسان ككونه قيمة إنسانية تحتاج إلى الاهتمام والتقدير، وهذا الظلم الجائر نتج عنه ما يسمى (حالة الاغتراب) التي سنتناولها فيما بعد، مما جعل هذه المجتمعات التي انتهجت هذا النظام مجتمعات معقدة التركيبة النفسية ومتفككة اجتماعياً كما **(إن النشاط الاقتصادي في النظام الرأسمالي جعل للإنسان نشاطاً لا معقولاً لأن المعقول هو أن يكون هدف النشاط هو إشباع الحاجات وخدمة للإنسان نفسه وليس الإنتاج لهدف الربح أي أنها خرجت عن الإطار والقيم الأخلاقية والاجتماعية والدينية).**

2 ـ نظرة النظام الشيوعي إلى الإنسان:

انطلاقاً مما ورد في المذهب الشيوعي ونظامه العملي فإنه أيضاً حاد عن الهدف الجوهري وهو خدمة الإنسان وإشباع حاجاته فهو قد استغل الإنسان ولكن الاستغلال والتحكم ليسا من قبل الفرد للإنسان ولكنه من قبل الدولة أو الحكومة للإنسان، فالنظام الشيوعي جعل من الإنسان آلة تعمل باستمرار دون توقف وتدور في اتجاه واحد وهو يعده بالفردوس والنعيم الأرضي، وعاشت طبقة العمال (البروليتاريا) كما أسماها ماركس في حالة من التوتر والفزع المستمر أي أنه لم يتغير على الإنسان شيء في النظام الشيوعي سواء نوع التبعية أو العبودية فهو ينتج مقابل أجرة سواء من قبل رب العمل أو الدولة، بمعنى أن نظام الأجرة خاصية وقاسم مشترك للنظامين.

ومن خلال المقارنة ثبتت حقيقة ليس فيها مدعى للشك أن الرأسمالية لم تكن حلاً للمشكل الاقتصادي وسعادة الإنسان في العالم بل إنها ممارسات أدت إلى وجود هذا المشكل، والشيوعية (الماركسية) لم تقدم حلاً أيضاً لهذا المشكل الاقتصادي وإنما بينته من خلال نقدها للرأسمالية وعجزت عن إيجاد الحلول وهكذا يتضح أن العالم يتقلب بين النموذجين المطروحين السائدين الآن دون أن يكون أحدهما بديلاً جوهرياً للآخر فالعالم حتى الآن لم يتغير بل إن النظامين وجهان لعملة واحدة.

وهذا أسفر عنه بقاء العمال في وضع حرج للغاية وجعل منهم طبقة كادحة، وفي وسط هذه الجماعة البشرية يكون المكون الفردي لها وهو الإنسان الّذي يعتبر بدليل الحجج والقواعد الطبيعية أنه قوة اجتماعية محركة فعلياً للعامل الاقتصادي بل وإنه القوى المبتكرة والمبدعة على مر التاريخ ويخالف تماماً ما قاله كارل ماركس بأن العامل الاقتصادي هو محرك للتاريخ الاجتماعي فالعكس هو الصحيح تماماً لأنه لو توقف نشاط الإنسان الفكري والعضلي في مواقع العمل والإنتاج لتوقفت العملية الإنتاجية

والخدمية ولو كان ذلك حتى في أسوأ الظروف كحالات الصيانة والتجديد والإضافة للميكنة أو حتى في إعادة برمجتها... الخ.

فهذه الصور وغيرها من الأدلة التاريخية التي تبرهن أن ما صنعته هذه الأنظمة التقليدية هو أن العمال ما زالوا عمالاً يعيشون ملازمين لحالة الفقر والمرض النفسي والجسدي مما جعلهم يخرجون في مظاهرات وإضرابات واعتصامات مستمرة يطالبون فيها بحقوقهم الضرورية مثل تحسين الأجور وتحسين بيئة وظروف العمل وتقليل ساعات العمل، وكذلك محاولة منع الفصل التعسفي والمطالبة بإقرار الضمان الاجتماعي.. الخ.

ورغم استمرار معاناة العمال هذه عبر التاريخ نهاراً وليلاً فإن الرأسمالية استطاعت أن تحول هذه الصراعات إلى مكتسبات لها وأن تجعل نضال العمال ضد العمال أنفسهم.

إذاً فالإنسان هو ذاك القوة الاجتماعية جعلت منه الأنظمة الظالمة خصماً مبيناً لها وهذا ما جعل العمال يستمرون في الكفاح الدموي.. ففي أوائل الستينات وتحديداً في مايو 1/ 5 / 1962/ 1963 مسيحي استطاع العمال بعد كفاح امتد طويلاً ضد الطبقة الرأسمالية أرباب العمل وضد الحكومة والدولة التقليدية استطاعوا أن يحققوا الكثير من مطالبهم ويفرضوها فرضاً بعد أن خاضت أوروبا وعمتها الفوضى والتظاهرات والاعتصامات، يطالب فيها العمال من خلال المفاوضات بتكوين اتحادات ونقابات لهم تمثلهم داخل الحكومة ويرفعون مطالبهم من طريق ممثليهم من العمال إلى الحكومة فهذا الصراع دام طويلاً واستطاعوا عن طريق منظمة العمل الدولية أن يحصلوا على تخفيض ساعات العمل التي كانت تصل إلى 12 و14 اثنتي عشرة وأربع عشرة ساعة يومياً، فأصدرت المنظمة منشورها العالمي بحيث تجعل ساعات العمل المتواصلة ثماني ساعات كحد أعلى وكذلك تحسين الأجور وتحسين ظروف العمل، حيث أصدرت الحكومات قوانين لصالح العمال مثل (**زيادة الأجور وتحسين ظروف العمل**)، فالعمال

انتزعوا هذه الحقوق انتزاعاً ومع هذا ما زالوا عبيداً لأنهم يتقاضون أجرة مقابل العمل وأن تحسين الأجور لا يعني الوصول إلى حل المشكلة مع العمال، وكان على غرار هذا أن الطبقة الرأسمالية والحكومة ونظام الدولة الشيوعية بلورت من جديد استغلالها في ما يسمى نظريات الدوافع والحوافز فظهرت هذه النظريات لعلاج العديد من القضايا والمشاكل الاقتصادية باعتبار أن كفاح العمال أثر سلباً في مستوى الإنتاج والخدمة التي يرغب رب العمل أو الحكومة في الحصول عليه فهذه نظريات الحوافز والدوافع قدمتها كحل تسعى به الطبقة الرأسمالية والحكومة لزيادة الإنتاج كماً وكيفاً فكان محور هذه النظريات الآتي:

أ) نظرية الحوافز:

تقوم هذه النظرية على أساس أن الإنسان لا يعمل بدون حافز، وأنه في حالة تحفيزه سوف يعمل وينتج فقامت بعرض معادلة التحفيز أو الحوافز وهي تقوم على أساسين يتفرعان عنها، هما:

الفرع الأول:

تدعيم مادي ومعنوي في حالة السلوك الإيجابي وذلك بتقديم مكافأة مالية أو هدية مادية إليه وهذا هو التدعيم المادي، أما التدعيم المعنوي ففي حالة السلوك الإيجابي مثلاً، منحه شهادة شكر وتقدير أو ترقية.

الفرع الثاني:

تدعيم مادي ومعنوي في حالة السلوك السلبي، مثل إيقاف المرتب أو الخصم أما التدعيم المعنوي في حالة السلوك السلبي فيكون بلفت النظر أو بالتعزير أو أحياناً حتى بالفصل التعسفي وبهذا يَلْحَق به ضرر معنوي ومادي.

فهذه الأنظمة من خلال هذه اللعبة حاولت حل المشاكل بصورة موقتة

من جانب ولكنها فشلت من جانب آخر؛ لأنها أهملت الجانب الإنساني، وأن الإنسان هو المهم، فعاملته كأنه آلة مطلوب منها العمل والإنتاج والدوران الآلي في اتجاه واحد، وهذا لا شك مفهوم خاطئ وسرعان ما انتقدها علماء النفس والاجتماع بأنه يجب أن يكون للإنسان مناخ مناسب في عمله وساعات مناسبة وحق مالي مناسب.

ب) نظرية الدوافع:

فهذه النظرية تقوم على أساس دفع العمال والأفراد من خلال الدعايات والوعود الكاذبة، وأن تعيشهم على أمل غير حقيقي كل ذلك من أجل دفع الإنسان إلى تحقيق أكبر قدر من الإنتاج والكفاءة الإنتاجية، وقد أشارت النظرية في محور أفكارها إلى أن السلوك البديل الإيجابي لا يكون محل اختيار للعاملين، فالإنسان بطبيعته يندفع إلى الانجاز والعمل تلقائياً، فالأنظمة التقليدية بصياغتها نظريات الحوافز والدوافع تهدف إلى زيادة الإنتاج كماً وكيفاً إلا أنها فشلت من ناحية أخرى في تحقيق زيادة الإنتاج وتحسين الخدمات وذلك للاعتبارات والأسباب الآتية:

1. انها نظريات تقليدية حكومية لم تنجح في مجاراة القواعد والعلاقات الاجتماعية والإنسانية الطبيعية.

2. انها تهدف إلى تعميق وتجذير الفكر الحكومي الرأسمالي.

3. الطبقة الرأسمالية تلعب دوراً مهماً في ترويج مثل تلك النظريات التقليدية التي تخطط لزيادة الإنتاج وبأقل تكاليف ممكنة.

ومن هذا الظلم الصارخ والاستغلال المقيت نجد أن العمال يعانون حالة نفسية سيئة يعيشها كل إنسان يعمل في المواقع المختلفة، فهذا الإنسان لا يزال يعاني من العديد من المشاكل الاقتصادية والنفسية التي أصابته من جراء النظامين الرأسمالي والشيوعي فتولدت عند الإنسان حالة نفسية تسمى (حالة الاغتراب) فالعامل يشعر منذ أن ينهض مع صياح الديك

من نومه بأنه قد باع سلفاً هذا اليوم، الّذي عليه مع ذلك أن يحياه مرغماً وهو يحياه ولكنه لن يهتم بكيف يحياه فالعمل للغير يحول حياته للغير.

حالة الاغتراب التي يعيشها الإنسان في ظل الأنظمة التقليدية:

فحالة الاغتراب هذه تناولها العديد من العلماء والمفكرين من علماء النفس والاجتماع والاقتصاد والإدارة وخاصة أصحاب التوجه الإنساني والسلوكي في الإدارة، فتناول هذه القضية بالتحليل والدراسة، كثيرون ومنهم العالم (أمتيا اتزيوني) حيث أكد على أن الغربة هي ليست البعد عن الأهل والأحباب ولكن الغربة هي أن يعمل الإنسان في موقع عمل أو إنتاج ولا يحس فيه بالانتماء والولاء له لأنه لا يتناول حقه كاملاً فيه بل إنه قد يعاني فيه حتى من كبت نفسي وظلم ولهذا فالعامل يعلم سلفاً فيها أنه ينتج إنتاجاً أو عملاً كبيراً مقابل أجرة زهيدة لا تفي بحاجاته الضرورية، ومن هنا كانت حالات الإحباط النفسي والتذمر المعنوي مصاحبة لطبقة العمال في العالم لأنهم لا يشعرون بأنهم شركاء في الإنتاج أو الخدمة بل إنهم على علم بأنهم معرضون للطرد والفصل التعسفي في أي لحظة، وحتى عدم إمكانية حصولهم على حق الضمان الاجتماعي وغيرها من المشاكل التي تواجه العمال وهي بمنزلة حقوق أساسية لهم.

استمر هذا الخرق الكبير لحقوق الإنسان في العالم دون توقف، وهذا ما كان نتيجته الجدلية حاجة العالم وتعطش العمال إلى نظرية ونظام طبيعي وفقاً للقواعد الطبيعية والإنسانية للحصول على حقوقهم، وعليه فنأتي ولنتناول الإنسان في النظام الاقتصادي الجماهيري الجديد الذي نصت عليه النظرية العالمية الثالثة (**الكتاب الأخضر**) الحل الاشتراكي الجماهيري للمعضلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم وذلك بعد فهمنا للنظامين السابقين الرأسمالي والشيوعي وكيف تعامل كل منهما مع الإنسان واستغله فإننا نسلط الضوء على (**الاشتراكية الجماهيرية والإنسان**) وننقل من

مادتها ما هو مطلوب ومناسب لموضوع هذه الورقة لأن النظرية العالمية الثالثة جاءت بهدف تحقيق حرية وسعادة الإنسان.

ثالثاً ـ النظرية العالمية الثالثة (الاشتراكية الجماهيرية):

وهي نتاج الفكر الإنساني وتجربة صاعنها المفكر معمر القذافي وإن ما وصلت إليه هذه النظرية أنها لخصت النظريات السابقة وكشفتها وأكدت على:

(إن النظريات التاريخية السابقة عالجت المشكل الاقتصادي من زاوية ملكية الرقبة لأحد عناصر الإنتاج فقط ومن زاوية الأجور مقابل الإنتاج فقط ولم تحل المشكلة الحقيقية وهي مشكلة الإنتاج نفسه) وكذلك لم تحل مشكلة وضع العمال ولهذا فالكتاب الأخضر هو نتيجة جدلية للعلاقات الظالمة السائدة في العالم، فالعلاقة بين العمال وأصحاب العمل ومنها تحديد ساعات العمل والأجرة والأرباح والإدارة والضمان الاجتماعي والفصل التعسفي وحق الإضراب... الخ، هذه العلاقة أدت إلى التوتر وعدم الاتفاق **(فبالرغم من التطورات التي لا يستهان بها في تاريخ المشكل الاقتصادي إلا أن المشكلة ما زالت قائمة جذرياً مع كل التقليمات والتحسينات التي طرأت عليها والتي جعلتها أقل حدة من القرون الماضية وحققت مصالح كثيرة للعاملين)**. فمنها مثلاً محاولة تحسين أجور العمال فهي لم تحل مشكلة العمال والحل الحقيقي والجوهري كما ورد في الجانب الاقتصادي كحل اشتراكي جماهيري هو ضرورة مشاركة العمال في الإنتاج وعائده وتطبيق مقولة **(شركاء لا أجراء)** باعتبار أن **(الأجراء مهما تحسنت أجورهم هم نوع من العبيد)** **(وأن الحل النهائي هو إلغاء الأجرة وتحرير الإنسان من عبوديتها والعودة إلى القواعد الطبيعية التي حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات وأشكال الحكومات والتشريعات الوضعية)** و**(إن القواعد الطبيعية هي المقياس والمرجع والمصدر الوحيد في العلاقات الإنسانية)**.

أي بدون استغلال الإنسان نفسه فظاهرة استغلال الإنسان لأخيه الإنسان هي خروج عن القواعد الطبيعية وبداية الفساد كما أكد الكتاب الأخضر فهي (**ظاهرة الخروج عن القاعدة الطبيعية وبداية فساد وانحراف حياة الجماعة البشرية وهي بداية ظهور مجتمع الاستغلال**).

وكذلك الثروة فهي حقّ لجميع أفراد المجتمع ولا يحق لأحد أن يكتنز ما زاد على حاجته لأنه بالطبيعة حاجة إنسان آخر مثل العجزة والمرضى والبلهاء والمعتوهين. إذ (**إن ثروة المجتمع تشبه مؤسسة تموين أو مخزن تموين يقدم يومياً لعدد من الناس مقداراً من التموين بوزن محدد يكفي لإشباع حاجة أولئك الناس في اليوم**). عليه فنعود إلى الكيفية التي أنصف بها الكتاب الأخضر حقوق الإنسان حيث ورد فيه (**إن النشاط الاقتصادي في المجتمع الاشتراكي الجديد هو نشاط إنتاجي من أجل إشباع الحاجات المادية وليس نشاطاً غير إنتاجي أو نشاطاً يبحث عن الربح**)، فالربح هنا استغلال أي (**أن الاعتراف بالربح هو اعتراف بالاستغلال**). وبهذا فالنظام الاشتراكي لا يعترف بنشاط اقتصادي يعتمد على الربح والاستغلال بل إشباع الحاجات الضرورية فقط، وعليه تكون المبادئ الأساسية التي يرتكز عليها النظام الاشتراكي الجماهيري الجديد هي:

1 ـ هدف النشاط الاقتصادي هو الإنتاج من أجل إشباع الحاجات.

2 ـ ضرورة تحرير حاجات الإنسان.

3 ـ إلغاء نظام الأجرة واستبداله بنظام الشركاء (شركاء لا أجراء).

4 ـ المساواة بين عناصر الإنتاج.

5 ـ القضاء على عوامل الاستغلال.

6 ـ تنظيم الملكية.

خصائص (مميزات) النظام الاشتراكي الجماهيري الجديد:

1 ـ احترام قيمة الإنسان الآدمية.

2 ـ الحكم بالقواعد الطبيعية.

3 ـ منح الحرية الكاملة للإنسان.

4 ـ جعلت من الأديان والأعراف مصدراً للتشريع لقضايا الإنسان.

5 ـ وظفت الجهد والإنتاج والادخار توظيفاً سليماً بما يتفق مع الحاجات الأساسية الضرورية.

إذاً فغاية المجتمع الجماهيري هي إشباع الحاجات باعتبار أن ثروة المجتمع محدودة ونادرة نسبياً ومن هنا جاء في الحل الاشتراكي الجماهيري **(لا يحق لأي فرد القيام بنشاط اقتصادي بغرض الاستحواذ على كمية من تلك الثروة أكثر من إشباع حاجاته.... ويحق له الادخار من حاجاته من إنتاجه الذاتي وليس من جهد الآخرين)**. كما فسر الكتاب الأخضر ذلك بـ **(أن الادخار الزائد عن الحاجة هو حاجة إنسان آخر من ثروة المجتمع)**. وأيضاً فسر بشكل آخر فورد فيه أن **(الذي ينتج هو الذي يستهلك إلا العجزة)** فالعجزة وليهم المجتمع ويكفل لهم إشباع حاجاتهم الضرورية.

(كما أن الذي يعمل لنفسه مخلص في عمله الإنتاجي دون شك لأن باعثه على الإخلاص في الإنتاج هو اعتماده على عمله الخاص لإشباع حاجاته المادية، والذي يعمل في مؤسسة اشتراكية هو شريك في إنتاجها مخلص في عمله الإنتاجي دون شك لأن باعثه على الإخلاص هو حصوله على إشباع حاجاته من ذلك الإنتاج، أما الذي يعمل مقابل أجرة فليس له باعث على العمل).

فالحاجة هي التي تحرك الإنسان للإنتاج، كما أن ملكية الحاجة هي

أساس حريته (**فالحاجة قد تؤدي إلى استعباد إنسان لإنسان، والاستغلال سببه الحاجة فالحاجة مشكل حقيقي والصراع ينشأ من تحكم جهة ما في حاجات الإنسان**). إذًا (**في الحاجة تكمن الحرية**) فالحرية والحاجة شيئان متلازمان، فكل منهما مقترن بالآخر اقتراناً شرطياً ومن خلال الحقائق أو الصور التي سردناها سابقاً يتبين أن الحل النهائي لمشاكل المجتمعات لا يخرج عن الانسجام مع القواعد الطبيعية.

كما نلاحظ من خلال النظرية العالمية الثالثة بجانبها الاقتصادي أنها تعترف بالملكية الخاصة المقدسة في حدود إشباع الحاجات المادية لأفراد المجتمع مثل المسكن والمركوب والمعاش كحاجات ضرورية للفرد والأسرة، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن تكون ملكاً للغير ولهذا (**إن الحاجات المادية الضرورية الماسة والشخصية للإنسان.... لا بد أن يملكها الإنسان ملكية خاصة مقدسة**).

فالنظام الاشتراكي الجديد علاج قضية الإنتاج وكيفية توزيعه حيث إذ (**القاعدة الطبيعية للمساواة في الإنتاج هي أن لكل عنصر من عناصر الإنتاج حصة في هذا الإنتاج ولكل عنصر دوراً أساسياً في عملية الإنتاج وبدونه يتوقف الإنتاج**). وعليه ورغم تطور وسائل الإنتاج واختراع أساليب وطرق جديد للميكنة والآلات فإنه ما زالت نفس الجوهر الطبيعي (**فعوامل الإنتاج الطبيعية الأساسية ثابتة جوهرياً برغم تطورها الهائل وهذا الثبات الجوهري لعناصر الإنتاج يجعل القاعدة الطبيعية هي القاعدة السليمة التي لا مفر من العودة إليها في حل المشكل الاقتصادي حلاً نهائياً**).

وما يميز النظرية العالمية الثالثة أنها أكدت على قيمة الإنسان وأنه سيبقى دائماً وأبداً عنصراً أساسياً في العملية الإنتاجية والخدمية وفقاً للقواعد الطبيعية للعلاقات الإنسانية التي تعتبر مرتكزات وأسس الاشتراكية الجماهيرية والتي بمقتضاها حفظت مكانة أفضل للإنسان باعتبار أن الإنسان دائماً وأبداً ذلك الكائن المتميز بالعقل الذي يحاول دائماً أن يدفع ويرفع

من قدراته العلمية والمهارية ليواكب حركة التطور التي هي بفعل الإنسان نفسه، كما أن النظرية العالمية الثالثة احترمت الإنسان كإنسان آدمي له قيمة بشرية لأنه يحس ويشعر ولهذا فهي كفلت له حقه في الإنتاج وعائده وكشفت له عن زيف النظريات والأنظمة التقليدية السائدة في العالم كما أنها ضمنت له حقوقه الأساسية كحق الحرية والعمل.... وكذلك حق امتلاك المسكن والمركوب والمعاش.... وكذلك نضيف نقطة جوهرية هي أن أفضل ما تميزت به هذه النظرية الإنسانية أنها احترمت المرأة وأولتها اهتماماً خاصاً وفي كافة المجالات ومثال ذلك كفلت لها حق العمل بما يتماشى مع طبيعتها الفسيولوجية دون قهر أو ظلم.

إذاً تلك هي الأسس التي تعترف بها النظرية العالمية الثالثة والتي من شأنها أن توجد علاقات اقتصادية اشتراكية جديدة تخلق قوانينها الاقتصادية والنشاط الاقتصادي وتطبعها بطابعها الخاص دون أن تكون تابعة لأحد النظامين السابقين أو حتى أنها بعيدة على أن تكون خليطاً بينهما.

ولو اتسع المجال لنا من حيث الوقت لكنّا مددنا في هذا الموضوع كثيراً لأن هذا الطرح الجماهيري غني ووافر بالمبادئ والقواعد التي تتفق مع الإنسان ولكن نكتفي بهذا القدر البسيط من هذه المادة وسوف نتناول مستقبلاً إذا أتيحت الفرصة الجوانب العملية وآلية التنفيذ وفق معايير ومقاييس مصممة ومنطلقة من القواعد الطبيعية في محاولة بحثية أخرى إن شاء الله.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية المتواضعة نصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً ـ النتائج:

1 ـ يتضح جلياً أن طبيعة النظريتين الرأسمالية والشيوعية ونظاميها اللذين يعملان بها أنهما أبقياً كثيراً من الاستفسارات والأسئلة حول مجموعة من النقاط الجوهرية والحلقات المفقودة المطلوبة لتحقيق المساواة وحرية وسعادة الإنسان التي طالما ظلت الشعوب تقدم التضحيات وتناضل وتكافح عبر التاريخ ولمئات من السنوات الطوال لأجل الوصول إلى تلك الأهداف الإنسانية.

2 ـ إن معاناة الإنسان مستمرة وسرقة جهده حقوقه لا زالت كذلك، كم أن مشكلة الإنسان لم تنته في كلا النظامين بل إنها استعبدته فكان استعباده في الرأسمالية لرب العمل وفي الشيوعية للحكومة أو الدولة.

3 ـ اتصفت الأنظمة التقليدية بوجود مجموعة من العلاقات الظالمة التي تتجسد في صورتها الحقيقية العملية بوضوح ودائماً ضحيتها يكون الإنسان، كما أن هذه الأنظمة سلبت إرادته وحقوقه المشروعة وجعلته أسيراً وقتلت روح الإبداع والتألق فيه.

4 ـ إن النظرية العالمية الثالثة بفصولها الثلاثة هي النموذج المثالي لحرية وسعادة الإنسان حيث إنها تضمنت من المبادئ والأُسس ما يكفل الحياة الكريمة للإنسان بعيداً عن النظرة الضيقة وبعيداًعن المصالح الفردية الأنانية والطبقية وأنصفت الناس الكادحة والفقيرة والمحرومة التي عانت من ظلم الطبقة وجور الحكومة لحقبة تاريخية طويلة.

ثانياً ـ التوصيات:

جاء الكتاب الأخضر (**كتتويج نهائي لكفاح الإنسان من أجل استكمال حريته وتحقيق سعادته**).

وهذا ما يشير إليه الكتاب الأخضر بشير كل البشرية باعتباره المطاف النهائي للشعوب نحو الانعتاق من كافة أشكال الظلم الديكتاتورية ليمتلك

الإنسان فيه مقدرات يومه وغده، وحتى نساهم إيجابياً في غرس هذه المعتقدات فإننا نوصي بالآتي:

1 ـ بذل الجهد الفكري لمحاولة تبسيط المفهوم النظري ليسهل فهمه واستيعابه من قبل كافة شرائح المجتمع المحلي والمجتمعات العالمية، حتى ينعكس ذلك على سهولة وسلامة التطبيق الصحيح.

2 ـ العمل على ضرورة وجود اهتمام فائق وبشكل خاص من قبل المفكرين والمثقفين والمبدعين والكتّاب والروّاد والقدرات والمواهب العلمية للتعاون جميعاً من أجل ترجمة هذه النظرية إلى الواقع العملي بأكثر دقة، وتطويرها بما يتفق مع تقدم العلوم والمعارف وتطلعات وحاجات الإنسان مثل محاولة الجمع بين الجوانب الفكرية والجوانب الفنية والعلمية.

3 ـ العمل على الاهتمام بالأبحاث والدراسات الفنية والتنفيذية للطرح الاشتراكي الجماهيري مع القيام بالندوات والمؤتمرات العلمية وحلقات النقاش المفتوحة كجانب بحثي علمي؛ حتى يتسنى تبني القدرات والطاقات الجيدة التي تساهم إيجابياً في تطوير وتنفيذ النظام الجماهيري في مواقع العمل والإنتاج والخدمة وخاصة في الجانب الاقتصادي.

4 ـ نوصي بتبني وتطبيق المنهجية كاملة دون نقص، أي يتم تطبيق النظرية بكامل فصولها الثلاثة (السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي) باعتبارها فصولاً تحمل مبادئ وأسساً مترابطة لا يمكن تجزئتها أو فصلها بعضها عن بعض.

5 ـ نوصي بضرورة إيجاد تصور للمعايير والمقاييس الطبيعية التي يتم بناءً عليها تطبيق النظرية، ومثال ذلك تقسيم حصص الإنتاج بين المنتجين والفلاحين والموظفين والإداريين في مواقع العمل والإنتاج والخدمة والبناء المختلفة حتى تتم المساواة بينهم وكمثال عملي

أكثر دقة هو الكيفية التي يمكن أن نساوي بها بين المنتجين، وكم سيكون نصيب المديرين والأمناء ومديري الإدارة العليا والمفوضين العامين وأمناء اللجنة الإدارية ورؤساء مجالس الإدارة في مواقع عملهم والّذين يمارسون وظيفة التخطيط والمجهود الفكري مع باقي الفنيين والمنتجين والإداريين الّذين يمتهنون الوظائف التشغيلية والفنية والّذين يمارسون المجهود العضلي.

6 ـ التعاون من أجل وضع آلية معينة ذات ضوابط محكمة تضمن عدم تحول فئة قليلة من المجتمع أو جهة ما إلى أرباب عمل أو حكومة لتنفرد بثروة المجتمع، لأن هذه الطفرات الاستثنائية كانت ولا تزال هي مصدر الإزعاج والخوف ومقتل الأنظمة وذلك في تحول هؤلاء الأفراد أو الجهات من فئة قليلة من المجتمع إلى أداة تتحكم في زمام الأمور (**السياسية والاقتصادية والاجتماعية**) وتحولها بحكم موقعها إلى مجموعة من الإمكانات المادية والمعنوية لتحقيق مآربها الخاصة ومن ثم تنحرف عن طبيعتها وتحيد عن السير في المسار المرسوم لتحقيق حرية وسعادة الإنسان، وهذا التحول غير الطبيعي والمنافي لكافة القيم والمبادئ والأُسس الجماهيرية يؤدي إلى تحول هذه الفئة أو الجهة إلى غول كبير وبرجوازية قديمة وجديدة حاكمة بعد أن كانت غير ذلك فتدوس بأقدامها العملاقة مصالح وحاجات الإنسان صاحب المصلحة الحقيقية في الحياة، وإن حدث هذا فيعني أننا سنقع في المستنقع نفسه الذي وقعت فيه الأنظمة السابقة.

وفي نهاية هذه الورقة أقول:

(إن الفكر الّذي يعيش أبداً هو الذي يكون لصيقاً بالحياة منبثقاً من قلبها.. وهذا هو فكر معمر القذافي)

المــــراجع

1 ـ الكتاب الأخضر - بقلم المفكر معمر القذافي.

2 ـ د. أبوالقاسم عمر الطبولي وآخرون - أساسيات الاقتصاد - ليبيا - الدار الجماهيرية للنشر.

3 ـ د. محمد لطفى فرحات - الاشتراكية ونظريات الاستغلال الاقتصادي - ليبيا - شعبة المناهج والتعميمات - 1986م.

4 ـ د. رجب أبو دبوس ـ في الحل الاشتراكي ـ الطبعة الأولى - طرابلس ـ ليبيا - المنشأة العامة للنشر ـ 1982م.

5 ـ الندوة العالمية حول فكر معمر القذافي - منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر - 2 ـ الجماهيرية 1981م.

6 ـ د. حسين عمر - الرفاهية الاقتصادية - القاهرة - دار الفكر العربي - 1999م.

7 ـ د. رمضان محمد القذافي - علم النفس العام - ليبيا - تونس - الدار العربية للكتاب - 1983م.

8 ـ أ. الطيب القبي - مجموعة محاضرات غير منشورة - المعهد الوطني للإدارة - ليبيا ـ 2002.

ثروة المجتمع وكيفية توزيعها وفق منظور النظرية العالمية الثالثة

حسن إبراهيم ضوء

المقدمة:

إن موضوع توزيع الثروة من المواضيع الهامة في حياة كل المجتمعات البشرية، وخاصة في المجتمعات التي تملك ثروات طبيعية بحيث يجري الحديث وعلى نطاق واسع حول الاستفادة من توزيع الثروة النفطية في ليبيا على المواطنين.

- فهل يعني ذلك أن توزيع الثروة يعني تقاسمها عينياً على الجماهير أم أنه يعني توزيع هذه الثروة في صورة خدمات مجانية يظهر فيه دور الدولة الاجتماعي؟

- وهل معنى توزيع الثروة يعني في الوقت نفسه تطويرها واستثمارها للمحافظة على حق الأجيال القادمة فيها؟

- وهل توزيع الثروة يمكن أن يتخذ بقرار إداري، أم أنه راجع إلى الجماهير نفسها، التي تمثل السلطة السياسية؟

وهل النظرية العالمية الثالثة - فكر معمر القذافي - تعطي نموذجاً معيناً واحد لفكرة توزيع الثروة والاستفادة منها أم أن ذلك مرتبط بالجماهير

نفسها ودرجة وعيها ورشدها وقدرتها على اتخاذ القرار المناسب وفق المعطيات المتوافرة؟

وربما السؤال الذي يطرح نفسه في هذا البحث: كيف توزع ثروة المجتمع؟

بحيث سوف أجيب عن هذه السؤال من خلال هذا البحث الذي كنت قد قسمته إلى فصول التالية:-

الفصل الأول سوف أناقش مفهوم الثروة منذ أن عرف الإنسان ظهور الدولة الوطنية، معرفا إياها من خلال آراء بعض المفكرين في هذا المجال، وتعريف المجتمع وتطوره، وما هي ثروة المجتمع؟

والفصل الثاني من هذا البحث خصصته لتناول الكيفية التي يتم بها توزيع ثروة المجتمع، موضحا الفارق بين الثروة العامة والإنتاج، وكذلك أنواع الثروات الطبيعية وغير الطبيعية.

وفي نهاية هذا البحث سوف أخلص إلى بعض النتائج، من خلال الخاتمة بغية وضع النقاط على الحروف للعديد من الأسئلة التي أوردتها في مقدمة هذا البحث، لتسليط الضوء على الموضوع، وما يحيط به من تساؤلات.

مشكلة البحث:

لقد كثر الحديث خاصة في الآونة الأخيرة عن موضوع توزيع الثروة خاصة في المجتمع الجماهيري، وتعددت وجهات النظر حول موضوع ثروة المجتمع وكيفية توزيعها.

فهناك من يرى أن التوزيع يكون عينياً أي من طريق تقاسم الثروة، وهناك من يرى أن توزيع الثروة يكون على هيئة خدمات مجانية تقدم للمواطنين يظهر فيه شكل الدولة الاجتماعي، وطرف ثالث يرى أن موضوع

الثروة وتوزيعها لا يعني المعنى الاصطلاحي للتوزيع بقدر ما يعني استثمار وتطوير هذه الثروة بما يضمن حق الأجيال القادمة دون أن ننسى حق الأجيال الحاضرة.

فهل موضوع توزيع ثروة المجتمع يرجع إلى قرار إداري أم أنه راجع إلى قرار السلطان السياسي وهو المؤتمرات الشعبية الأساسية في المجتمع الجماهيري؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم ثروة المجتمع، وإلى توضيح ماذا يعني توزيع الثروة، وما إذا كان توزيع الثروة يعني تقاسمها عيناً دون مراعاة الأجيال القادمة وحقها في هذه الثروة؟

وهل موضوع الثروة يرتبط بشكل الدولة؟

وما هي ثروة المجتمع وكيف يتم تحديدها، وما هو الفارق بين الثروة والإنتاج؟

بحيث يتم تسليط الضوء على هذه المواضيع وتحليلها وتفسيرها وصولا إلى رأي مدروس من خلال المعطيات والمعلومات المتوافرة وقراءة الرؤية الجماهيرية التي تطرحها النظرية العالمية الثالثة بشأن توزيع الثروة.

الفصل الأول

مفهوم الثروة

لقد ارتبط مفهوم الثروة بظهور الدولة الوطنية (القومية) في القرن الخامس عشر التي أعطت للثروة معنى، حيث لم تكن المجتمعات في العصور القديمة والوسطى تعاني مشكلة الثروة وتنظر لها فبعد أن ظهرت المدارس الاقتصادية - التجاريون، والفيزوقراطية - والتقليديون (الكلاسيك) - اعتبر التجاريون أن أصل الثروة هو المعادن الثمينة (الذهب والفضة) وطالبوا بالسعي للحصول عليها وتحقيقها،وبشتى الطرق، وذلك حتى يتسنى للدولة أن تحقق هذا الهدف، فإنه يجب عليها أن تتدخل لتنظيم كل من الصناعة والتجارة، وللدولة أن تتدخل في ذلك مستخدمة أساليب عدة، مثل تشجيع زيادة السكان، ووضع نظام عمل إجباري، وإنشاء الصناعات المملوكة للدولة وهو ما ينطبق حتى الآن بحيث تعتبر الصناعة في الوقت الحاضر النواة الأساسية للقطاع العام في الاقتصادات المختلفة - رأسمالية كانت أو غيرها - وكذلك تنظيم التجارة، ووضع آلية بين الواردات، والصادرات، بما يخدم سياسات كل دولة وبالتالي ظهرت المنافسة التجارية بين الدول مما يعد مثلاً للحروب الاقتصادية التي لم تكن معهودة في العصور السابقة (الوسطى والقديمة).

ولقد اتخذت عدة سياسات اقتصادية في الدول الأوروبية في تلك الفترة بحيث اتبعت إسبانيا سياسة التعدين (السياسة المعدنية في إسبانيا) (بحيث تقوم هذه السياسة أساساً للحصول على الذهب والفضة من

المستعمرات بطريق مباشر، ومنع خروجها من البلاد بقدر الإمكان)[1].

في حين اتخذت فرنسا السياسة الصناعية لأنها لم تكن لديها مناجم ذهب وفضة، وبالتالي اتجه التجاريون فيها إلى انتهاج السياسات الاقتصادية التي تمكن فرنسا من اكتساب المعادن النفيسة (ولهذا فقد طبقت فرنسا خلال القرن السابع عشر سياسة إقامة قاعدة صناعية فرنسية قوية قادرة على المنافسة الدولية،...... بالإضافة إلى العمل على تنمية الأسطول البحري والشركات التجارية والمتخصصة في التجارة الخارجية، والعمل على خفض أسعار المواد الغذائية)[2]. وغيرها من السياسات الاقتصادية التي اتبعتها الدول الأوروبية، والتي كانت تنادي بتدخل الدولة بالنشاط الاقتصادي بشكل عام وذلك بغية الحصول على الثروة.

ثم جاء العقل الفيزوقراطي الذي رأى في الأرض والزراعة الثروة الحقيقية للدولة، وذلك تحت مبررات أنه لم يعد الوقت مؤاتياً لمساندة الدولة في امتلاكها للنشاط الاقتصادي في مواجهة الفرد، وخاصة بعد أن قامت الدولة الحديثة، وتدعمت أركانها، خصوصاً رأيهم في أن الزراعة هي القطاع الوحيد الذي يمكن أن يشبع حاجات الإنسان دون أن ينخفض، أي أن الإنتاج لا ينضب بعكس الصناعات وغيرها من القطاعات الأخرى، فهي النشاط الاقتصادي الوحيد المتجدد بحسب رأيهم.

ثم جاءت مدرسة التقليديين (الكلاسيك) بقيادة آدم سميث بحيث مدح سميث السوق بدون تدخل الدولة، كما قال بذلك الفيزوقراط، ولكنه خالفهم في أن الأرض والزراعة لا يمكن أن تكون وحدها منتجة الثروة وكذلك درس الفكر التجاري ووافقه في التجارة الخارجية،ولكنه في الوقت

(1) عادل أحمد حشيش: تاريخ الفكر الاقتصادي، بيروت، دار النهضة العربية، بدون تاريخ نشر،ص72.

(2) المرجع السابق، لبنان ص74 ـ 75.

نفسه عارضه في أن النقود وحدها مصدر الثروة.

(يختلف سميث عن العقل التجاري، والفيزوقراطي في فهم أصل الثروة، من وجهة نظره لا كمية النقود، ولا الميزان التجاري الفائض كما هو عند التجاريين، ولا الأرض والإنتاج الزراعي كما هو عند الفيزوقراط يكونان أصل الثروة)[1].

ولكنه اعتبر أن العمل هو مصدر الثروة الحقيقي، فلا الزراعة ولا التجارة يمكن اعتبارهما مصدر الثروة (إن ثروة الأمة الحقيقية هي عمل أبنائها).

الثروة إذاً أصلها العمل بحسب رأي سميث، والعمل هو المنتج لكل السلع والخدمات، إما عن طريق الاستهلاك مباشرة، أو عن طريق تبادلها بسلع وخدمات أخرى، واعتبار أن العمل هو المعيار والمقياس الذي يقاس به تقدم الأمم وتأخرها ومقياس لثراء الأمة من عدمه (العمل هو معيار التفاوت بين الأمم في الثروة)[2].

وإذا كان هذا المقياس يمكن اعتباره صحيحاً في فترات سابقة من الزمن، عندما لم يكن هناك انتشار واسع في التقنية (الآلات والمعدات) وكان الاعتماد على العنصر البشري في الإنتاج لكن الآن لم يعد في الإمكان اعتباره ممكناً خاصة بعد أن زاد انتشار الميكنة، والتقنية الحديثة في الإنتاج، وتم الاستغناء عن ملايين العمال جراء ذلك مما يؤكد أنه لم يعد في الإمكان اعتبار العمل هو أساس الثروة في أي مجتمع معاصر.

من خلال ما سبق فإنه يمكننا تعريف الثروة وذلك بحسب آراء بعض المفكرين في هذا المجال، حيث يعرفها البعض بالآتي (تعرف الثروة في

(1) رجب أبو دبوس: نقد العقل الاقتصادي الجزء الثاني (الرأسمالية)، مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001، ص154 ـ 153.
(2) المرجع السابق، ص 154.

الاصطلاح الاقتصادي بأنها «ترادف الأموال» وهي الأشياء ذات النفعية، والمقصود بالنفعية الأشياء التي تقضي حاجات الإنسان، وتوفر مطالبه)[1].

(كما يعرف الثروة بأنها الأشياء التي يستطيع الإنسان امتلاكها، ولها قيمة تبادلية، ويقصد بالقيمة التبادلية، فالذهب أو النفط مثلاً يعتبران ثروة بعد أن يتم تعدينهما)[2].

ويعرفها آخرون بأنها (عبارة عن قدرة إنتاجية ناجمة عن وجود مجموعة من الإمكانيات المادية، أما المرتب أو الدخل فهو شيء آخر يمكن أن يتحقق بعد استخدام الإمكانية المادية والقدرة الإنتاجية المتمثلة في الثروة.. أي أن الثروة لا تعني رواتب الموظفين)[3].

ومن خلال تتبعنا لتطور مفهوم الثروة عبر الزمان، وعبر تعرفنا على رأي المدارس الاقتصادية المختلفة، وآراء بعض المفكرين يمكننا أن نصل إلى التعريف الذي يقول: إن الثروة هي كل الموارد الطبيعية، وغير الطبيعية الموجودة في حيز ما تسكنه مجموعة من الناس يتعاونون في شتى مناحي الحياة، ويشكلون مجتمعاً وبالتالي يكونون دولة.

ثانياً ـ مفهوم المجتمع:

يعتبر المجتمع مجموعة من الناس متصلة بشبكة من المؤسسات والعلاقات المختلفة، فالمجتمع هو أحد الركائز الأساسية لأي دولة وإذا كانت الدولة تتكون من عناصر أساسية وهي الإقليم، الشعب (مجتمع) ونظام سياسي موحد.

---

(1) أحمد عطية الله: القاموس السياسي، دار النهضة العربية ـ بيروت لبنان. ط الرابعة، 1980ف، ص431.

(2) المرجع السابق، ص 432.

(3) محمد لطفي فرحات: ثروة المجتمع - دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. سرت - ليبيا، ط الثانية، 1425، ص 20.

(الدولة هي عبارة عن ذلك الشخص المعنوي الذي يمثل أمة (تقطن أرضاً معينة) والذي بيده السلطة العامة أو كما يسمونها السيادة)[1].

غير أن للمجتمع خصائص عديدة، فهو مجموعة من التفاعلات والعلاقات الدائمة فهو يرتبط ارتباطاً وثيقا بعضه مع البعض الآخر، وربما حالة المجتمع هي الصفة التي تطلق على المجتمعات البشرية، وهنا نجد من يعرف المجتمع بأنه (كيان جماعي من البشر بينهم شبكة من التفاعلات والعلاقات الدائمة والمستقرة، وتسمح باستمرار هذا الكيان وبقائه وتجدده في المكان والزمان)[2].

كما يعرف المجتمع على أنه (حالة خاصة لبعض الكائنات، تعيش في جماعة منظمة، هذا التعريف واسع بما يكفي ليشمل كائنات غير بشرية، عندئذ المجتمع البشري يتميز بأنه علاقات بين الأفراد وتجمعهم أمور مشتركة، وعلاقات دائمة ومنظمة، وفي الغالب ذات مؤسسات ومكفولة بضمانات وجزاءات وتهدف إلى هدف واحد)[3].

وبالتالي نرى أن المجتمع اختزل بظهور الدولة الحديثة، ومثله في ذلك الثروة.

بعد أن عاشت المجتمعات عصور الإقطاع بحيث كان الإقطاعي يملك الأرض بما فيها وما عليها.

---

(1) عبد الحميد متولي: القانون الدستوري والأنظمة السياسية، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1974، ص30.

(2) سعد الدين إبراهيم: المجتمع والدولة في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1988، ص 37..

(3) رجب أبو دبوس: القاموس السياسي، سرت: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1425 م، ص152 ـ 153.

ثالثاً ـ ثروة المجتمع:

من خلال تعريف الثروة الذي سبق التعرف عليه، وكذلك المجتمع نجد أن ثروة المجتمع تتألف من عنصرين أساسيين:

العنصر الأول: ـ يتمثل في المصادر الطبيعية، وهي تتضمن ما هو موجود من المواد النافعة التي لم تنتج بوجود الإنسان،أي أن ليس للإنسان دور في وجودها، ومن أمثلة ذلك الأرض والترسبات المعدنية والمساقط المائية، ومصادر المياه الأخرى، والنفط الخام الذي يوجد في باطن الأرض.... الخ. فهذه الإمكانات موجودة بدون تدخل الإنسان في وجودها.

العنصر الثاني: ـ ويتمثل في المصادر غير الطبيعية، التي تتعلق بجهد الإنسان وتدخله في الطبيعة، ويتكون ذلك من السلع الرأسمالية التي صنعها الإنسان، والتي لا تزال موجودة خلال فترة زمنية معينة، ومن أمثلة ذلك، المصانع والمساكن والطرقات والكباري والقنوات وأنظمة الري والمواصلات، ووسائل الاتصال، والموجودات تامة الصنع، وشبه تامة الصنع، وغيرها من السلع الأخرى والتي للإنسان دور كبير في وجودها عبر التاريخ. (والسلع الرأسمالية التي صنعها الإنسان في لحظة معينة ناتجة عن عمليتين أساسيتين ـ العملية الأولى، وهي التي تتمثل في كونها لم تكن موجودة أصلاً ولذلك يكون وجودها ناتجاً من عملية إنتاجية ـ والعملية الثانية، تتمثل في كونها لم تستهلك بالاستعمال فالجزء الذي يستهلك بطبيعته لا يدخل ضمن مكونات الثروة)[1].

من خلال ما سبق يمكننا أن نعرِّف ثروة المجتمع بأنها كل الموارد الطبيعية وغير الطبيعية الموجودة في الدولة، داخل إقليمها، بحيث تعتبر هذه الثروة ملكاً لكل أفرادها، ونقصد الأفراد هنا كافة أعضاء المجتمع بمن

(1) محمد لطفي فرحات: ثروة المجتمع، سرت: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط2، ص13.

فيهم الأجيال القادمة، بحيث يحق لكل فرد منهم أن يستغل هذه الثروة والانتفاع بها في حدود جهده الخاص ودون استخدام غيره.

وفي ذلك يرى معمر القذافي في الفصل الثاني من الكتاب الأخضر أن أساس الاختلال في توزيع ثروة المجتمع توزيعاً عادلا، يعود إلى نظام السخرة، وهو استخدام الغير من أجل إشباع حاجات كل فرد حيث يقول (وإيجاد طريقة لتوزيع ثروة المجتمع توزيعاً عادلاً، حيث تعمل بنفسك لإشباع حاجاتك، لا أن تتخذ الغير ليعمل لحسابك لتشبع على حسابه حاجاتك، أو أن تعمل من أجل سلب حاجات الآخرين)[1].

ومن هنا يتضح أن ثروة المجتمع بالإضافة إلى كونها كل الموارد الطبيعية وغير الطبيعية والمتمثلة في الجهد البشري (الإنتاج) فإنه يجب أن يتم الحصول عليها بالجهد الشخصي للفرد دون استخدامه واستغلاله جهد غيره من البشر، وبالتالي يتم توزيعها توزيعاً عادلا على أفراد المجتمع.

وبعد أن تعرفنا على مفهوم الثروة، ومفهوم المجتمع، ومفهوم ثروة المجتمع في الفصل الأول من هذا البحث، وأعطينا التعريفات المتعددة لهذه المفاهيم، فلنتعرف إلى كيفية توزيع ثروة المجتمع من خلال وجهة نظر النظرية العالمية الثالثة في الفصل الثاني من هذا البحث.

(1) معمر القذافي: الكتاب الأخضر ـ الفصل الثاني «حل المشكل الاقتصادي: الاشتراكية»، طرابلس: منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط 26، 1999، ص 104.

الفصل الثاني

السؤال الذي يطرح نفسه هنا
كيف توزع ثروة المجتمع؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لا بد من أن نعرف أن كل مجتمع عنده ثروة وعليه أن ينميها، فهناك مجتمعات لها ثروات طبيعية متمثلة في النفط، والذهب، والفضة، وغيرها من المعادن والثروات الأخرى، وهناك مجتمعات لا تملك ثروات طبيعية، ولكن اقتصادها جيد مثل اليابان بحيث يمكننا القول إن الإنسان يعتبر مصدراً من مصادر الثروة في مثل هذه البلاد.

ومروراً على النظريات السابقة ـ الرأسمالية ـ الماركسية ـ يتبين لنا أن توزيع ثروة المجتمع لم يحل من خلال هاتين النظريتين، فمثلما كانت الرأسمالية وفقاً لمذهبها الفردي «دعه يعمل دعه يمر» تبيح للفرد أن يمتلك ما يشاء زاعمة بذلك أن مصلحة الفرد تحقق في مجموعها مصلحة المجتمع، فلقد نادت الماركسية بضرورة تملك الدولة كافة ثروات المجتمع، وبالتالي توزيعها على أساس ما يصلح للجماعة يصلح للفرد في محاولة منها لمعالجة الخطأ الذي وقعت فيه الرأسمالية، ولكنها عالجت الخطأ بخطأ آخر أكبر ربما من الخطأ الأول وبالتالي نعتبر أن كلتا النظريتين الرأسمالية والماركسية هما وجهان لعملة واحدة.

وفي الإطار يذهب البعض إلى أن (الرأسمالية والماركسية تعتقدان أنه لا تعارض بين مصلحة للفرد، ومصلحة الجماعة، إلا أن الماركسية ترى

أن ما يصلح للجماعة يصلح للفرد، ولهذا أخضعت الفرد لسلطان الجماعة)[1].

في حين أنه وجب التنبيه على أن هناك اختلافاً بين توزيع الدخل وتوزيع الثروة خاصة ونحن نبحث في موضوع توزيع الثروة ذلك أن موضوع توزيع الدخل يرتبط بقواعد تراعى فيها طبيعة العمل المنتج، وبالتالي توزيع الدخل على عناصر الإنتاج المفترض أنها ثلاثة بحسب وجهة نظر النظرية العالمية الثالثة بعد دون أن يكون له أي دور أساسي في العملية الإنتاجية. واقتصرت عناصر الإنتاج على العناصر الأساسية وهي المواد الخام، والآلات والمعدات، والعنصر البشري الذي هو العنصر الأساسي لأنه من دون الإنسان لا يمكن الاستفادة من بقية العناصر حتى وإن توافرت.

أما توزيع الثروة فهو يختلف عن توزيع الدخل لأنه في هذه الحالة نقوم بالتوزيع والاستفادة من الأشياء المملوكة للمجتمع بكامله، وليس عائداً إنتاجياً من عملية إنتاجية حيث يرى البعض (أما توزيع الثروة فهو يتعلق بالانتفاع بالأشياء التي هي ليست إنتاجاً خاصاً بمنتج معين لأننا نوزع شيئاً هو ملك لنا ملكية جماعية، أي ملك للمجتمع كله كل فرد فيه له نفس الحصة، إذا كان موجوداً في لحظة زمنية معينة، كما أن الأشخاص غير الموجودين والذين يحتمل أن يوجدوا في المستقبل لهم حصة أيضاً في الثروة الاجتماعية)[2].

ولقد درست النظرية العالمية الثالثة ـ فكر معمر القذافي ـ هذه المشكلة وهي مشكلة توزيع ثروة المجتمع بدلاً من تركها تتمركز في أيدي قلة من الناس، مثلما في النظرية الرأسمالية، أو أن تقوم الدولة بملكية

(1) رجب أبو دبوس: في الحل الإشتراكي، طرابلس: منشورات المنشأة العامة للتوزيع والإعلان، ط1، 1982، ص 52 ـ 53.

(2) محمد لطفي فرحات، مرجع سابق، ص15.

الثروة مثلما في النظرية الماركسية، وبالتالي تؤدي هذه إلى سيطرة القلة على ثروة كل الناس، مثلما في النظرية الرأسمالية، أو أن تقوم الدولة بملكية الثروة مثلما في النظرية الماركسية، وبالتالي تؤدي هذه السيطرة على ثروة المجتمع إلى الانفراد بصنع القرار بهذا المجتمع، لأنه منطقياً، وجب أن تكون ملكية الثروة لكل أفراد المجتمع حتى تتأكد السلطة الشعبية المباشرة، التي تقوم على مؤتمرات شعبية تقرر ولجان شعبية تنفذ، لأنه في حالة تحكم طرف في امتلاك الثروة فإنه سوف يتحكم في مسألة صنع القرار وفي ذلك يقول معمر القذافي (إن حرية الإنسان ناقصة إذا تحكم آخر في حاجته، فالحاجة قد تؤدي إلى استعباد إنسان لإنسان، والاستغلال سببه الحاجة، فالحاجة مشكل حقيقي، والصراع ينشأ من تحكم جهة ما في حاجات الإنسان)[1].

وانطلاقاً من ذلك يقول الدكتور رجب أبو دبوس في هذا الشأن: (إن الثروة كلما تراكمت في يد قلة كان ذلك يعني تحول الغالبية إلى معدمين، وقد وصل هذا التراكم في الثروة الآن درجة أصبحت معها الشركات المتعددة الجنسية تمتلك من السلطة ما يفوق سلطة الحكومات (الوطنية)، حتى في الدول الصناعية)[2].

ويرتبط مفهوم توزيع الثروة ارتباطاً كبيراً بشكل الدولة ونوعية الثروة التي تمتلكها الدولة، ففي حالة توزيع ثروة المجتمع في الدول التي تمتلك موارد طبيعية مثل النفط يمكن أن توزع ثروة المجتمع في مثل هذه البلدان، إما توزيعاً عينياً أو توزيعاً اجتماعياً وفي ذلك يقول المفكر معمر القذافي (إن ثروة المجتمع تشبه مؤسسة تموين تقدم يومياً لعدد من الناس مقداراً من التموين بوزن محدد يكفي لإشباع حاجة أولئك الناس في اليوم، ولكل فرد

(1) معمر القذافي: الكتاب الأخضر، الفصل الثاني، حل المشكل الاقتصادي، مرجع سابق، ص 89 ـ 90.

(2) رجب أبو دبوس، في الحل الاشتراكي، مرجع سابق، ص 52 ـ 53.

أن يدخر ما يريد)[1].

ومن خلال دراسة لهذا النص الوارد في الفصل الثاني من الكتاب الأخضر يتبين لنا أن توزيع الثروة يمكن أن يكون على هيئة تقاسم عيني هذه الثروة التي يمتلكها المجتمع.

ومن هنا يمكن أن نفهم أن طرح موضوع توزيع الثروة قد لا يعني المفهوم اللغوي لكلمة التوزيع، ولكن ربما يعني تنمية وتطوير هذه الثروة، ومن ثم الاستفادة منها للأجيال الحاضرة على هيئة خدمات تخدم كافة أفراد المجتمع دون استثناء وعلى قدر المساواة، وبالتالي يمكن للأفراد زيادة دخولهم من طريق الحصول على قروض من ثروة المجتمع، تزيد من دخل الفرد لأبناء المجتمع،بحيث نرى أن توزيع ثروة المجتمع في هذه الحالة يجب ألا يكون على هيئة توزيع عيني، ولكن يتم توزيع الثروة على هيئة خدمات يقوم بها المجتمع لمصلحة مواطنيه حتى تظهر فيه صورة الدولة الاجتماعية.

وفي هذا الإطار نجد من يؤكد (أن الطريق الصحيح للعدالة هو توزيع الثروة العامة توزيعاً اجتماعياً، وما يفيض بعد ذلك فإنه حق الأجيال القادمة على الدولة استثماره وليس توزيعه. إن هذا التوزيع الاجتماعي رغم أنه موجب للحاضرين، فإنه يأخذ في الاعتبار حق الأجيال القادمة وليس الحاضرين فقط)[2].

وحيث إننا نبحث قضية توزيع الثروة وفق المنظور الجماهيري، فإن توزيع ثروة المجتمع هنا يجب أن يجسد مفهوم الديمقراطية المباشرة، التي

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الفصل الثاني، حل المشكل الاقتصادي، مرجع سابق، ص 103 ـ 104.

(2) د. رجب أبو دبوس: مواقف 6، «رأي في توزيع الثروة»، سرت: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1425، ص 287.

فيها السلطة بيد الجماهير لا بيد فئة قليلة سواء كانت حزباً أو مجموعة أحزاب، أو في يد حاكم متسلط «إمبراطور أو ملك» خاصة وأنه أحد مرتكزات السلطة الشعبية هو المرتكز الاقتصادي، ولأن مبدأ تطبيق السلطة الشعبية المباشرة (مؤتمرات شعبية ولجان شعبية) غير مرتبط بشكل معين بالدولة من حيث مواردها سواء كانت طبيعية أو غير طبيعية، وهنا الأمر يستلزم أن تكون كل الجماهير على قدر المساواة في حصولها والاستفادة من ثروة المجتمع، حتى يمكنها أن تتخذ قراراتها بكل حرية دون تحكم من أي كان في قراراتها.

ومن هنا أيضاً وجب أن يكون توزيع الثروة على شكل خدمات عامة لكل مواطني الدولة.

(في هذه الحالة التوزيع لا يمكن أن يتم في السوق، بل من خلال الخدمات العامة الاجتماعية التي تقدمها الدولة، الخدمات الاجتماعية مقابل المساهمة الاجتماعية في الإنتاج... الدولة الاجتماعية للحد من الفروق، وتفادي الظلم الذي يقع على بعض شرائح المجتمع، ولتمويل خدماتها تنتزع نسبة من الدخول لتعيد توزيعها في شكل خدمات على أساس حقوق المواطنة)[1].

لقد مرت الإنسانية بعدة مراحل وهي تحاول أن تحقق سعادتها بامتلاكها حريتها ومقوماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، علاوة على ذلك فإن كل الأنظمة تحاول أو بالأحرى تدعي أن هدفها هو تحقيق السعادة لمواطنيها، ولكنها في حقيقة الحال كانت الحائل بين الجماهير وتحقيق سعادتها.

(إن هدف الإنسانية هو التغيير لتحقيق حريتها وسعادتها، وبناء عالم أفضل، ولكن بني البشر اختلفوا دائماً في تحديد ما هو الأفضل لأي

---

(1) د. رجب أبو دبوس: مواقف 6. المرجع السابق، ص 280.

منهم)[1].

ولكننا هنا يجب ألا نغفل شكل الدولة التي يجب أن تكون موجودة، ومن هو الذي يصنع القرار في الدولة، والسلطة هنا يجب أن تكون فعلاً بيد الجماهير، وذلك بأن الجماهير هي التي تقوم برسم السياسة العامة للدولة، وبالتالي تحصل الشرعية الكاملة لشكل الدولة، ويحصل الانسجام الكامل بين صنع القرار وتنفيذه.

وفي هذا الإطار يقول الدكتور رجب أبو دبوس (إن الذين يتحمسون لتقليص دور الدولة الاقتصادي إذا كانوا يجهلون يجب أن يدركوا أن هذا لن يتم دون إعادة النظر في دور الدولة السياسي أيضاً)[2].

ونحن في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، حيث النظام السياسي المتبع هو نظام السلطة الشعبية المباشرة التي فيها مؤتمرات شعبية أساسية تقرر، ولجان شعبية تنفذ، فلا وجود لحاكم أو سلطان، أو حزب، أو طبقة تحكم نيابة عن الجماهير، حيت أقيمت السلطة الشعبية المباشرة لأول مرة في التاريخ وتم إعلانها في 2 مارس 1977 في مدينة الشرارة الأولى سبها، كأول إعلان في التاريخ لمولد عصر الجماهير الذي أصبح فيه شكل الدولة منذ ذلك التاريخ هو دولة الجماهير، والتي ترجع فيها كل القرارات إلى الجماهير، وبالتالي تحقق الانسجام بين شرعية القرارات، وآلية التنفيذ عبر اللجان الشعبية المختصة.

(ليس للديمقراطية إلا أسلوب واحد ونظرية واحدة... ليس لسلطة الشعب إلا وجه واحد، ولا يمكن تحقيق السلطة الشعبية إلا بكيفية

---

(1) شروح الكتاب الأخضر: العالم يتقلب ولم يتغير، المجلد الأول، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ط2، 1988، ص54.

(2) رجب أبو دبوس: مجلة المؤتمر. هل تنقلب الدولة على نفسها. المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، عدد 18، 2003 ف، ص 9.

واحدة... وهي المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية، فلا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية واللجان في كل مكان)[1].

ومن خلال النظر إلى المقومات الاقتصادية، نجد أن النفط أحد عناصر الثروة الطبيعية التي يملكها المجتمع العربي الليبي، وربما نصل إلى حدّ القول إنه يعتبر الثروة الوحيدة في الوقت الحالي، لأن البديل الفعلي الآخر لهذه الثروة لم يوجد حتى الآن، رغم أن هناك إمكانية لبعض البدائل ربما تكون عملية في المستقبل، وبالتالي يعتبر النفط العنصر الأساسي والمهم في تحقيق الدخل القومي، ومن هنا يمكننا القول إن توزيع ثروة المجتمع أو الحديث عن توزيع الثروة التي يجب أن تعود على كل الليبيين، وذلك تأسيساً على القاعدة العامة التي تقول: الثروة لا بد من أن تكون بيد الشعب.

وهنا عندما نفسر مصطلح الشعب لا يعني الحاضرين فقط،فالجماهير هي الحالة الآنية للشعب، وليست كل الشعب،لأن مصطلح الشعب هو مصطلح شمولي يأخذ في الاعتبار حتى الأجيال القادمة، وبالتالي حتى يتم توزيع الثروة يجب أن نأخذ في الاعتبار حتى الأجيال القادمة فيها، فمثلما الأرض لمن يفلحها، وليست ملكية رقبة، لأنه إذا ما ملك الحاضرون الأرض، فإن ليس للأجيال القادمة الحق فيها، وبالتالي ليس لهم مكان عليها.

لذا يجب أن نأخذ في الاعتبار أن الجماهير يجب أن تمتلك الثروة ملكية حقيقية وذلك تأكيداً للمقولة: السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب، ومن هنا فالجماهير في المؤتمرات الشعبة الأساسية، هي نفسها في المؤتمرات المهنية، التي تشكل في ما بينها أساس السلطة الشعبية

---

(1) معمر القذافي: الكتاب الأخضر، الفصل الأول، حل مشكلة الديمقراطية، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،ط 26، 1999 ف، ص 47 ـ 48.

(المؤتمرات الشعبية الأساسية) والتي تتخذ كل القرارات التي تنظم كيفية الاستفادة من الثروة العامة، ولأن موضوع توزيع الثروة العامة خاضع لقرار جماهيري حر، لأن هذا القرار قرار سيادي تملكه الجماهير بحسب الظروف والمعطيات المتوافرة لديها.

وفي الوقت نفسه فإن قرار توزيع ثروة المجتمع يرتبط ارتباطاً كبيراً بشكل الدولة في حد ذاتها،لأنه واقعياً إذا قررنا مبدأ توزيع الثروة على الجماهير توزيعاً عينياً فإن هذا سوف يقودنا بالضرورة إلى دولة الحد الأدنى، التي يقوم فيها المواطن بدفع مقابل كل الخدمات التي تقدم له، علاوة على عدم قيام الدولة بأي نشاط اقتصادي واجتماعي، اللهم إلا الخدمات الضرورية القليلة، التي سبق التعرض لها في متن هذا البحث.

وإذا ما قررت الجماهير توزيع الثروة توزيعاً اجتماعياً على هيئة خدمات تقدم للمواطنين، فإن ذلك مربوط بمدى الإنتاج الذي يقدمه المواطن نفسه، ومدى مشاركته في الناتج القومي، رغم أن مبدأ توزيع الثروة سوف يقلل من عدة فوارق اجتماعية يمكن أن تكون في حالة دولة الحد الأدنى، وذلك من خلال الاستفادة من خدمات التعليم، والعلاج، والمواصلات.. الخ.

وهنا يؤكد البعض على (ان التوزيع العادل لثروة المجتمع هو توزيعها عن طريق الخدمات التي يتمتع بها كل مواطن ـ كهلاً أو وليداً أو حتى في بطن أمه ـ وليس باعتبار دخله الخاص)[1].

ثم إن مصطلح توزيع الثروة إذا ما تم بمثل هذه الحالة فإنه سوف يعطي الفرصة لإمكانية استثمار هذه الثروة، وتنميتها وتطويرها، لأن في اعتقادي أن مفهوم توزيع الثروة يعني تطويرها وتنميتها وليس فقط توزيعها

(1) رجب أبو دبوس: مواقف 6، «رأي في توزيع الثروة»، سرت: الدار الجماهيرية لنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1425، ص282.

بأي صورة كانت، سواء عينية أو اجتماعية.

وهنا وجب التركيز على نقطة مهمة لاتخاذ القرار وهي توافر المعلومات الكافية أمام جماهير المؤتمرات الشعبية الأساسية عن هذه الثروة، وعن الاحتياطي منها، وأسعارها، وعن مجموع الناتج الصافي منها بعد خصم تكاليف إنتاجها، وعن تقلبات السوق المحلية والعالمية، وغيرها من الأمور الأخرى التي تهم موضوع الثروة، لأن موضوع توافر المعلومات عند متخذي القرار (المؤتمرات الشعبية) في هذه الحالة هو موضوع من الأهمية بمكان حتى تتمكن هذه الجماهير من اتخاذ القرار الصائب في هذا الموضوع أو في غيره من المواضيع الأخرى، وبخاصة أن ثروة النفط تعتبر الدخل الوحيد الذي تتوقف عليه حياة الشعب الليبي ومستقبله، وسيبقى كذلك حتى في حالة وجود بعض الثروات الأخرى التي من الممكن أن تكون من ضمن الثروة العامة في المستقبل.

من خلال ما سبق دراسته في كيفية توزيع ثروة المجتمع وفق المنظور الجماهيري، فإننا نرى أن التوزيع العادل لثروة المجتمع هو توزيعها عن طريق مجانية الخدمات الاجتماعية التي يتمتع بها المواطن بغض النظر عن عمره، وكذلك استثمارها وتطويرها لكي نضمن حق الأجيال القادمة في هذه الثروة، وليس على اعتبار الدخل الخاص لكل مواطن، لأنه عندما تتفاوت الفرص، يزداد الفارق بين الكادحين والأغنياء، وتكون الثروة في يد مجموعة من الناس دون غيرهم، وهذا ما يشكل خطراً حقيقياً على سلطة الشعب، والنظام الجماهيري الذي فيه السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب.

(فلا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية واللجان في كل مكان)[1].

(1) معمر القذافي: الكتاب الأخضر، الفصل الأول، حل مشكلة الديمقراطية، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط 26، 1425، ص 45.

الخاتمة

من خلال التطرق إلى موضوع توزيع الثروة وفق المنظور الجماهيري للنظرية العالمية الثالثة ـ فكر معمر القذافي، فإننا نخلص إلى الآتي:

1 ـ إن دراسة موضوع توزيع الثروة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعرفة بعض المفاهيم الأساسية مثل الثروة، والمجتمع، وثروة المجتمع، وتطور فكرة ثروة المجتمع عبر تاريخ نشوء الدولة الوطنية.

2 ـ إن موضوع توزيع الثروة يرتبط بشكل مباشر بشكل الدولة، فإذا أردنا توزيع الثروة توزيعاً عينياً فإن ذلك سوف يقودنا إلى دولة الحد الأدنى بالضرورة، وإذا ما تم توزيع الثروة توزيعاً اجتماعياً فإن ذلك سوف يعطي الدور الاجتماعي للدولة.

3 ـ إنه وجب التفريق بين توزيع الثروة، وتوزيع الإنتاج بحيث إن توزيع الإنتاج يتعلق بقواعد تراعى فيها طبيعة العمل المنتج، في حين أن موضوع توزيع الثروة يتعلق بالانتفاع بالأشياء التي هي ليست إنتاجاً خاصاً بمنتج معين.

4 ـ إن توزيع ثروة المجتمع على هيئة خدمات مجانية يخفف من الشعور بفقدان الحاجة لذوي الدخول الضعيفة، فلا يشعر هؤلاء بالدونية أمام الآخرين.

5 ـ إن التفريق بين الدخول والخدمات يجب ألا ينعكس على مستوى الحصول على الخدمات، مثل الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية.... إلخ، دون أن ننسى أهمية مشاركة كل الأفراد القادرين على الإنتاج في الدخل القومي.

6 ـ إن موضوع الثروة لا يمكن أن يحل باتخاذ قرار إداري ولكنه مرتبط بالسلطة السياسية ومدى الوعي بها وممارستها، فالشكل السياسي يتأثر سلباً وإيجاباً بموضوع توزيع الثروة ويؤثر فيه بالضرورة.

7 ـ إن اتخاذ جماهير المؤتمرات الأساسية قرارات مصيرية بشأن توزيع الثروة وتطويرها واستثمارها للأجيال القادمة مرتبط ارتباطاً كبيراً بمدى توافر معلومات تتعلق بالثروة والتطورات العالمية التي تحصل، ومدى الدخل القومي الذي تحققه هذه الثروة والمعلومات الكاملة عن الأسعار وأوجه الاستفادة منها.... الخ.

8 ـ إن الخلل الذي قد يحصل في توزيع الثروة على هيئة خدمات اجتماعية مثل التعليم والصحة... الخ، ليس مرده إلى الفكرة ولكنه مرتبط بالأجهزة التنفيذية والرقابية، وتحسين إدارة الدولة حتى تتمكن من تنفيذها على الوجه المطلوب.

9 ـ إن سعي الإنسانية لتحقيق سعادتها وحصولها على حريتها وبناء عالم أفضل لا يمكن أن يكون دون امتلاك الجماهير مقدرات يومها وغدها، وذلك بامتلاكها السلطة والثروة والسلاح.

قائمة المراجع

1 ـ معمر القذافي: الكتاب الأخضر، طرابلس، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط26، 1988.

2 ـ رجب أبو دبوس: القاموس السياسي، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1425.

3 ـ رجب أبو دبوس: مواقف 6، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1425.

4 ـ رجب أبو دبوس: مجلة المؤتمر، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، العدد 18، 2003.

5 ـ رجب أبو دبوس: نقد العقل الاقتصادي، الجزء الثاني (الرأسمالية)، مصراتة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2001.

6 ـ رجب أبو دبوس: في الحل الاشتراكي ـ منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ـ طرابلس، الطبعة الأولى، 1982.

7 ـ سعد الدين إبراهيم: المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ الطبعة الأولى، 1988.

8 ـ أحمد عطية الله: القاموس السياسي، بيروت، دار النهضة العربية، بيروت، ط4، 1980.

9 ـ محمد لطفي فرحات، ثروة المجتمع، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر، ط2، 1425.

10 ـ عادل أحمد حشيش: تاريخ الفكر الاقتصادي، بيروت، دار النهضة العربية، بلا تاريخ نشر.

11 ـ عبد الحميد متولي: القانون الدستوري والأنظمة السياسية، الإسكندرية منشأة المعارف، 1974.

البعد الأخلاقي في النظرية العالمية الثالثة

علي المهدي حامد

تمهيد

ترتكز النظرية العالمية الثالثة على مجموعة من القواعد الأساسية للتفكير الإنساني، ساهمت في تميزها عن بقية الأفكار الأخرى التي مررنا بها عبر التاريخ، والتي كانت مرتبطة بظروف تاريخية معينة وبمواقف إنسانية في مرحلة ما.

أي بمعنى أنها كانت حركات فكرية نتاجاً لردود فعل موجود في الواقع الإنساني.

فالرأسمالية على سبيل المثال، كانت رد فعل طبيعي لما صاحب المجتمع البشري من توترات في تلك المرحلة، كما أن أفكار نيتشه، وماركس، وديكارت، كانت ردود فعل لواقع مادي يعيشه الفكر الغربي في تلك المرحلة.

أما فولتير، وهيخل، فقد كانا يشكلان ظاهرة تمثل رد الفعل بواقع معين، أما النظرية الجماهيرية فإنها بدأت في البحث عن معالجة الواقع الإنساني من أجل البحث في مجموعة الأزمات المطروحة.

وقد ارتكزت النظرية العالمية الثالثة على قاعدتين أساسيتين هما:

أولاً ـ الكلية: لقد اعتمدت النظرية العالمية الثالثة في تحليل الواقع الإنساني ومعالجة مشكلته على الجانب الكلي الشامل، أي بمعنى النظرة المتكاملة للإنسان ككائن متكامل من خلال واقعه السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وانقسمت هذه الوقائع إلى مستويات لتبحث في كل شأن من شؤون الحياة البشرية، وتسعى لتقديم الحلول لتلك المشاكل بشكل شمولي.

ثانياً ـ المباشرة: لقد ارتكزت النظرية العالمية الثالثة أيضاً على المباشرة في التعامل مع قضايا الوجود والحياة، أي بمعنى أن الإنسان لا بد من أن يتعامل مع كل القضايا بشكل مباشر، بحيث تزول كل العوائق بين الإنسان وما يريده، ومن خلال استقرائنا لتاريخ المجتمعات القديمة والحديثة، نجد جملة من الوسائط تحيط بحياة الإنسان، الأمر الذي أدى إلى احتكار السياسة واحتكار الدين والمعرفة والاقتصاد.

ففي النظرية العالمية الثالثة يقوم المجتمع على رؤية مباشرة أساسها إقرار الحقيقة، أي التأكيد على إرادة الإنسان ومسؤوليته المباشرة.

وتعتبر هذه القاعدة من أكثر القواعد أهمية في الفكر الإنساني، لأن الأفكار السابقة أعطت الأهمية القصوى للفرد دون الجماعة ومن ثمّ لم يتحقق التوازن المطلوب والضروري لفهم الحقيقة.

أما ما ركزت عليه النظرية العالمية الثالثة فيكمن في الأسلوب المباشر أي وجود كل الناس في صورة ممارسة الحياة بشكل فاعل على مستوى التشريع والتنفيذ، ويؤثر هذا الأمر تأثيراً كبيراً في مجال تأسيس الأخلاق، (أخلاق كل الناس)، ومن خلال هذا المنطلق يتم الوعي بهذه الممارسة وفق نظام اجتماعي تلغى فيه كل الاتجاهات والممارسات الفردية والطائفية والطبقية.... الخ، وصولاً إلى جملة من المكتسبات الأخلاقية على الإطلاق التي تؤكد قيمة الإنسان.

مقدمة عامة في تفسير الأخلاق:

انقسم التفسير الإنساني إلى مباحث رئيسية وهي:

(مبحث الوجود ـ مبحث المعرفة ـ مبحث القيم)

وقد اعتبرت الأخلاق مبحثاً أساسياً من المباحث الفلسفية، فحين نتكلم عن الأخلاق يعني ذلك التفكير في جوانب النشاط الإنساني، واعتماد معايير محددة لتقدير القيم الإنسانية.

وبذلك فإن دراسة القيم هي العنصر الأساسي لإعطاء قيمة معينة واتخاذ موقف من كل الأشياء الموجودة في العالم الخارجي.

وبذلك فإن تفسير الأخلاق يهتم بدراسة القيم الأخلاقية وعلاقتها بالنشاط الإنساني، كالعدالة والحق والواجب والفضيلة، فعندما نتعامل مع الآخرين فإننا نرى ونفكر ونقيم، ثم نطلق الحكم على الأشياء، بأنها خيرة أو شريرة، نافعة أو ضارة ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نتغاضى عما نسميه بالمسألة الأخلاقية، لأنها من ضرورات الحياة اليومية.

فالمسألة الأخلاقية تعتبر واقعاً يومياً يفرض نفسه على الحياة الإنسانية، بمعنى ماذا يجب علينا أن نفعل؟ وما الذي علينا تركه؟ حيث يتم ذلك من خلال مجموعة القيم التي تتحكم في الحياة الإنسانية.

فكل إنسان يسعى إلى تحقيق أهداف معينة، وهي مختلفة من شخص إلى آخر مما يدفع ذلك إلى التصادم أحياناً، ويؤدي إلى السؤال عن معنى الخير ومعنى الشر، وما هو حكمنا عن الأفعال الخيرة والشريرة؟

أي بمعنى آخر كيف يستطيع الإنسان أن يشكل حياته؟

كيف يتصرف تجاه الآخرين؟ ما هو الهدف من الأفعال الإنسانية؟ ما هي الدوافع والمقاصد والغايات؟

إذن علم الأخلاق يهتم بالمسألة الأخلاقية، ويجيب عن كل الأسئلة

التي طرحناها، ويوضح الحياة الأخلاقية ويساعدنا نحو معرفة الغايات، ويبين لنا المقاصد والأدوات التي نحكم بها على أفعالنا وأفعال الآخرين هل هي خيرة أم شريرة؟

إذ يفسر لنا علم الأخلاق معنى الخير ومعنى الشر ويحدد لنا الصورة المثلى للمعاملات وهو علم لما ينبغي أن يكون.

فعلم الأخلاق علم معياري للسلوك البشري والحكم على هذا السلوك بالصلاح أو بالفساد.

معنى علم الأخلاق:

المعنى اللغوي: الأخلاق جمع خلق

ومن معانيه في اللغة: الطبع والسجية والعادة.

المعنى الاصطلاحي: هناك من تأثر بالمعنى اللغوي فقال هو علم العادات.

وبعض الباحثين قالوا إنه علم معياري يبحث في عادات وتقاليد الإنسان، صوب الطريق السوي.

وقد عرفه الفيلسوف (باسكال) بأنه: علم الإنسان.

وهناك تعريفات أخرى على سبيل المثال: إنه علم الخير والشر، وإنه علم الواجبات.

ولكن عندما ندقق في تعريفات علم الأخلاق نجد أن أدق تعريف وأشمل تعريف هو الذي ورد في دائرة معارف البستاني وهو:

(علم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى الإنسان بها، وبالرذائل وكيفية توقعها ليتخلى عنها).

موضوع علم الأخلاق:

موضوعه هو الأعمال الإنسانية الإرادية. فوصف الأعمال بأنها خيرة أو شريرة، مشروط بكون الأعمال الإنسانية صادرة عن إرادة ووعي أو غير ذلك. فالأعمال اللاإرادية ليست داخلة في علم الأخلاق فلا نقوم بتقويم السلوك الأخلاقي للإنسان على ضوئها حيث يبحث علم الأخلاق في مسائل تهتم بالخطأ والصواب، وعلى صعيد الواقع فإن هذا التحديد ضيق إلى حدّ ما، فالأخلاق تبحث في ما هي الأعمال الخيرة، وفي مسألة العقاب والثواب.

البعد الأخلاقي في النظرية العالمية الثالثة:

عندما نلقي نظرة عامة على ما جاء في النظرية العالمية الثالثة، فإننا نجد معظم ما جاء فيها من قضايا وحلول، ترتكز على القيم الأخلاقية السائدة في المجتمعات الإنسانية التي هي العادات والتقاليد ذات الطابع الخير، والتي نحكم عليها من خلال أفعالنا الإرادية داخل المجتمع وبين الناس، بل ومع أنفسنا.

وقد وردت هذه النظرية مقسمة إلى ثلاثة أركان تحمل في مضمونها قضية الإنسان وهو الطرف الأول والأخير فيها.

فالركن السياسي نجده يطرح المشكلة السياسية التي تمس قضايا الإنسانية، والتي أكد فيها أن حرية الإنسان كانت دائماً سواء من حيث الممارسة أو من حيث التعبير، أسيرة للنظم الديكتاتورية والتعسفية.

أما الركن الاقتصادي فقد طرح مشكلة العبودية الحديثة ونظام الأجرة والاستيلاء على الممتلكات التي وضعها الله أمام الإنسانية كلها.

وفي الركن الاجتماعي: طرحت مشكلة الأقليات المضطهدة ومعاناة المرأة داخل المجتمع، تحقيق حرية وسعادة الإنسان.

أولاً ـ البعد الأخلاقي في الركن السياسي:

أداة الحكم:

(هي المشكلة السياسية الأولى التي تواجه الجماعات البشرية والمتمثلة في المجالس النيابية، الحزب، الطبقة، والاستفتاء).

هي في واقع الأمر لا تعبر عن رأي الجماهير داخل المجتمع، فهي عبارة عن تزييف للديمقراطية وتغييب واضح للشعب فهي أدوات ديكتاتورية وتعسفية لا تؤدي إلى حرية وسعادة الإنسان داخل مجتمعه. ولذلك فهي نشاط من شأنه خدمة مصالح طبقة أو حزب معين يملك السلطة ويقرر مصير شعب بأكمله.

حيث لا توجد للإنسان أي قيمة في ظل وجود تلك الأدوات، وهذا ما ينتج عنه بالطبع صراعات ومعارك من أجل الوصول إلى السلطة، وتنعدم أثناء تلك الصراعات القيم والعادات والأعراف السائدة في ذلك المجتمع.

لذلك فالنظرية العالمية الثالثة في ركنها السياسي أكدت على الديمقراطية المباشرة لتكون هي الحل الأمثل، من خلال مؤتمرات شعبية تقرر ولجان شعبية تنفذ بوصفها الثمرة النهائية لكفاح الشعوب من أجل الديمقراطية.

فالديمقراطية نظام جماهيري بديع يتجسد في حكم الشعب نفسه بنفسه وامتلاكه سلطته بين يديه وهو الرقيب على نفسه دون وصاية من أحد.

إن ذلك المنظم لسلطة الشعب يعطينا بعداً أخلاقياً متمثلاً في حرية اختيار القرار وتلك القيمة المعنوية التي يشعر بها كل فرد داخل مجتمعه، فهو سيد نفسه ورقيب على نفسه ودون التنازل أو الابتعاد عن دينه أو عاداته وتقاليده، متمسك بأبناء مجتمعه يداً بيد يقرر وينفذ ما بدا له في جو ديمقراطي يسوده الاحترام المتبادل والنقاش المستفيض وتقريب وجهات

النظر بين أعضاء المؤتمر الشعبي الذي لو جاز التعبير لأطلق عليه اسم المجتمع الحر لمناقشة قضايا المجتمع.

أما شريعة المجتمع المشكلة المرادفة لأداة الحكم فإن أي شريعة مجتمع توضع من قبل لجنة أو مجلس، فهي باطلة.

فشريعة المجتمع هي العرف أو الدين، وهي ليست محل صياغة وتأليف بل إن كل الدساتير قابلة للتغيير، لأنها عبارة عن قوانين وضعية صاغتها مجموعة من الشعب وليس جميع أفراد الشعب. وعليه فهي غير مرضية للكل. لأنها وضعت على أساس خدمة مصالح فئة معينة.

أما شريعة المجتمع فليست محل صياغة أو تأليف. بل هي تراث خالد ليس ملكاً للأحياء فقط، وهي الفيصل لمعرفة الحق والباطل والخطأ والصواب وحقوق الأفراد وواجباتهم.

فالدين هو الديانة التي يدين بها المجتمع والعقيدة المؤمن بها سواء كانت ديانة سماوية أو غير ذلك. والعرف هو ما تعارف عليه الناس داخل المجتمع من عادات وتقاليد وطقوس منشأة مع الفرد داخل المجتمع. سواء كانت بشكل يومي أو موسمي.

ثانياً ـ البعد الأخلاقي في الركن الاقتصادي:

من الواضح أن النظرية العالمية الثالثة ركزت في هذا الجانب من فصولها الثلاثة على الحاجة، حيث تعتبر هي الأساس الذي تكافح من أجله البشرية كافة.

(في الحاجة تكمن الحرية)

وبما أن النظرية العالمية تهدف إلى حرية وسعادة الإنسان فإن الحاجة الضرورية هي التي يصبح الإنسان حراً بامتلاكها أو سعيداً بتوفيرها.

فالمسكن مثلاً حاجة ضرورية للفرد والأسرة كذلك المعاش وأيضاً

المركوب والمأكل بالتأكيد. ما دام الإنسان يمتلك هذه الضروريات فهو حر وسعيد.

والنظرية العالمية الثالثة أكدت أيضاً في شقها الاقتصادي على الإنتاج وعناصر الإنتاج وداست على نظام الأجراء والعبيد وجعلت كل من يدير آلة إنتاج شريكاً فيها ـ وبالتالي سيشعر الإنسان ما دام لديه نصيب في تلك الآلة ـ أنه مسؤول عن الحفاظ عليها.

أكدت النظرية العالمية الثالثة على قيمة الإنسان بإعطائه حق التملك والإنتاج مع شركاء لأنها ترى ذلك حقاً طبيعياً يجب أن يحصل عليه، من هنا تتضح الرؤية الأخلاقية لمضمون النظرية العالمية الثالثة.

والجانب الاقتصادي يؤكد على حق المنتج في الحصول على إنتاجه، فالمنتج يشعر بأنه ينتج ليجني ثمرة عمله كاملة مع شركاء منتجين. ولا يحصل على حفنة من الأموال لا تساوي شيئاً مقارنة بما أنجزه في تلك العملية الإنتاجية.

ثالثاً: البعد الأخلاقي في الركن الاجتماعي:

يعتبر هذا الركن من أكثر القضايا تأكيداً على قيمة الإنسان، فالبعد الاجتماعي هو الأساس لكل القيم كما أن المعايير والقواعد الأخلاقية إنما تستمد أصولها من القواعد الاجتماعية السائدة، والعامل الاجتماعي هو الأساس الذي يبنى من خلاله منظومة القيم والعادات والتقاليد، وقد عرفنا عبر التاريخ الأخلاقي منذ العصور القديمة حتى يومنا هذا أهم الأركان التي يبنى عليها البناء الاجتماعي ليكون مجتمعاً مزدهراً ينمو فيه الفرد نمواً طبيعياً، الأسرة بالنسبة للفرد هي كالغصن بالنسبة للورقة، إذن الفرد يستمد مقومات وجوده بأسلوب التربية والتنشئة الاجتماعية، ومن ثَمّ فإن ما تقدمه للأفراد من قيم أخلاقية وعادات اجتماعية إنما هي القيم السائدة التي تمثل القواعد الاجتماعية وبالتالي القواعد الأخلاقية.

في ما يتعلق بالقبيلة والأمة فالأمر أكثر شمولية للدعوة نحو الالتزام بالقيم المتعارف عليها في ظل هذه المجتمعات البشرية، فالقبيلة تمارس دورها في مجال التربية والروابط الاجتماعية، وهي تشكل الحماية والمظلة للأفراد، أما في ما يتعلق بالأمة فهي المظلة الأكثر اتساعاً حيث تقوم على وحدة التاريخ والتراث ومجموعة المقومات التي تساهم في وضع القيم الأخلاقية.

كما يتناول هذا الفصل جوانب أخرى تكشف التناقضات التي أوجدتها العلاقات الظالمة في الحياة الاجتماعية، فالتناقض في علاقة الرجل والمرأة مشكلة الأقليات اضطهاد من قبل غيره من البشر، جميعها تعرض لها الفصل الثالث في محاولة لتأكيد البعد القيمي في الشخصية الإنسانية فلا فارق بين البشر، وليس هناك منطق يبرر تفوق فئة على أخرى لأن ذلك يمثل الظلم والديكتاتورية وبالتالي انتشار الشر والرذيلة.

كما تناول هذا الفصل الجوانب الإبداعية المتعلقة بالإنسان، وهذا الجانب يشكل أهمية كبرى في الشخصية الإنسانية، فالتعليم والألحان والرياضة والعروض كل تلك الجوانب تعرض لها هذا الفصل بالشكل الذي يبعث على تقديس الجانب القيمي، فليس هناك أي منطق أخلاقي يبعث في الفرد الإقبال على التعليم الإجباري فالتعليم الإجباري لا علاقة له بالجوانب الإبداعية كما أن ذلك يشير إلى عدم وجود الانسجام الوجداني والاستمتاع بالحياة مما يعني الانعكاس السلبي للحضارة الإنسانية، أما في ما يتعلق بالرياضة فإن النظرية ترفض من الأساس كل أشكال الاحتكار والتغييب وبالتالي فلا بد من أن تكون الأنشطة العامة لكل إنسان بما يمكنه من ممارستها، كما يرفض هذا الفصل كل أشكال الرياضات الوحشية التي لا ترتبط بأي قيم إنسانية ولا أبعاد أخلاقية وإنما تضع الإنسان في مستوى الكائنات الدونية الأخرى.

إن البعد الأخلاقي في النظرية الجماهيرية هو الذي ميزها في هذا

العصر عن كل المحاولات التي اعتمدت على الاستغلال والظلم والتعسف والرؤيا الجزئية لمشاكل الإنسان، ولذلك أصبح من الطبيعي أن تشكل هذه النظرية طريقاً عالمياً ثالثاً ينتهجه البشر من أجل العدل والخير.

تحليل الدلالات الخطابية
في خطاب معمر القذافي

حسين لطفي لابة

المقدمة

يشهد للقائد معمر القذافي بروعة استخدامه لفن الخطابة، وهذا ما جعله قريباً من الشعوب المؤيدة والمناصرة لأفكاره واطروحاته على الدوام. فبحسب النظرة المبدئية يدار الخطاب لدى القائد معمر القذافي عبر ثنائيات فهو في آن واحد كل من الشخص ورجل السياسة وبين رجل الشعب والشعب في رجل، والمتكلم عن المواضيع الخاصة والعامة، فهو يعرف كيف يربط بين كل هذه الأفكار بكل دقة وإتقان، هذا العمق يشكل ديناميكية خطابية يسأل عنها الباحث مستفسراً عن جواب لمسألة: من المتكلم في خطاب القائد؟ هل هو الشخصية ذاتها.. وهل هي الشخصية السياسية؟.. هل هي الثورة أم هل هو الشعب؟.. أم أنه كل هذه العوامل مجتمعة ومتجسدة كاملة في خطاباته وفي شخصيته.

هذه بعض الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها من خلال التحليل اللغوي ومن خلال إظهار البعد العميق للخطاب الذي يصعب على المتلقي العادي فهمه بسهولة خاصة ونحن نعرف أن شخصية مثل شخصية المفكر الثائر الأممي القائد معمر القذافي تحمل في طياتها الكثير من الفلسفات

الإنسانية الكبرى.

فهذا القائد يتميز بقدرة خطابية لغوية غير عادية بكل ما تعني هذه الكلمات من معنى.. فهو قادر على تثقيف الجماهير وتهيئتهم لكل ما يخدم مصلحتهم من حرية ورخاء وسلام مساهماً بذلك في تطور الفكر الإنساني المعاصر. آمل في أن تكون هذه الدراسة فاتحة خير لكل راغب في التعمق في فكر القائد معمر القذافي.. فالقائد ليس فقط الرجل الذي قاد ليبيا إلى عصر الحرية والانعتاق بل هو قائد ثورة سلام عالمي تحمل أفكاراً واطروحات تبشر بعصر الجماهير القادم بكل قوة لتغيير خريطة العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هذه الدراسة تنصب على تحليل الخطاب الشعبي لدى القائد معمر القذافي.. هذا الخطاب الذي لعب الدور الكبير والعميق في تفعيل الجماهير وتحريضها على ممارسة سلطتها ومقاومة كافة أشكال الظلم والعدوان.

فالهدف من هذه الدراسة هو إظهار قوة الخطاب اللغوية والبلاغية عند القائد معمر القذافي ومدى قدرته على التأثير في الشعوب الأفريقية في لحظات جد هامة من تاريخ قارتهم.. بحيث تعتمد هذه الدراسة على أساليب علمية حديثة معتمدة من قبل علماء متخصصين بعلوم اللغة، وقد قمنا بالاعتماد على خطابات مختارة لتحليلها من الناحية اللغوية ومنتقاة من الناحية الزمنية مجسدة لفترة التوجه الأفريقي.

لكل شخصية سياسية أو اعتبارية أسلوب خطابي يختص بها بحسب الوضعية الاجتماعية لهذه الشخصية، ولذلك فإن الخطاب يدون بوضوح نوعية هذه الشخصية الفكرية المتحدثة. فالثقافة الفكرية تحمل تركيبات خطابية غاية في الترابط في ما بينها سواء أكانت في خطبة أم في مقالة أم في عظة.

والقائد القذافي المسلم الأفريقي المناصر لمفاهيم السلام والإسلام،

هو شخصية مهمة لكل الليبيين والأفارقة ولكل من يحلم بالحرية والانعتاق، فهو الذي قاد الثورة التي أيقظت هذا العالم من سباته العميق، ولهذا كله سنحاول دراسة شخصيته من خلال الأفكار والإشارات الواضحة والمتجلية في خطاباته.

تعريف الخطاب:

وما دمنا بصدد تحليل بعض الخطابات فإن من الأجدى والأصح أن نحاول تعريف الخطاب بحسب ما عرفه بعض المفكرين والفلاسفة. فالخطاب هو السياق الذي تتطور من خلاله مواقف سياسية واجتماعية معطاة. ويقول العالم «بينيفيست» عن الخطاب: إنه هو الظاهرة اللغوية المتجسدة في الاتصال الحي والمباشر، والممارسة الخطابية هي مجموعة قواعد لغوية وتاريخية محددة بالوقت والمكان والوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والجغرافي.

ما انفك العالم يتكلم عن الاستراتيجية الخطابية وأهميتها في نجاح أي خطاب ولقد حدد لها المفكرون عدة شروط لكي تكون فعالة ومتكاملة وهي:

1 ـ موقف: أي الوضع الذي يلقي فيه المتحدث خطابه **(المكان ـ الزمان ـ وضعية المخاطب بالنسبة للمتلقين ـ الظروف التي استدعت إلقاء هذا الخطاب).**

2 ـ معرفة جميع الشرائح والفئات المتلقية للخطاب ومن ثم تحديد نوع الخطاب المتوجب إلقاؤه.

3 ـ هدف يكون من وراء إلقاء الخطاب.

4 ـ الخطة الخطابية: وفيها يتم تنظيم الأفكار والجمل بحيث تكون في تسلسل وتوافق منطقي يصب في مصلحة الهدف المنشود من وراء إلقاء الخطاب. فمثلاً تحريض وتنوير الجماهير على أي وضع يأتي

بعد إظهار مآسي الوضع الحالي. كما أن الشكل القواعدي الصحيح والمعنى المنطقي والهدف المنشود هي من شروط إنتاج نص خطابي جيد.

والخطابة تعتمد بشكل أساسي على عنصر مهم ألا وهو الإقناع وذلك لشرح تفاصيل وأهداف الخطاب، ففن الإقناع يرتكز على الإعجاب والإفحام والتأثير، ولإتمام عملية الإعجاب، على المخاطب أن يكون لديه ثقة عالية في قيادته الروحية والاجتماعية بالإضافة إلى قدرته على إنتاج خطاب مؤثر ينال استحسان المتلقي.

لكل أسلوبه ولكل إستراتيجيته الخطابية والمعروف عن القائد معمر القذافي استخدامه لهجة مميزة ينفرد بها عن أي خطيب آخر ولديه خبرة ودراية يتناول بها المواضيع المطروحة بما يكفل تغطية كافة جوانبها، وبما أن القائد يعرف مدى وقوة الخطاب الشفوي العفوي عن قرينه الخطاب المقروء والمعد سلفاً، فإنه اثر اختيار النوع الأول عن النوع الثاني وبرع فيه بصفة خاصة ومميزة بالرغم من صعوبة السيطرة على أدواته.

نجد أن بعض أهداف خطابات القائد تصب في اتجاه تحريض الجماهير على ممارسة السلطة ورفض كل ما يعاديها، والدعوة للعدل والسلام العالمي بين الشعوب والتفرغ للبناء والتشييد، ورفض ودحض الإمبريالية والرجعية بكافة أشكالها وألوانها والدعوة إلى قيام الفضاءات وبالأخص الدعوة إلى قيام الاتحاد الأفريقي العظيم.

والقائد معمر القذافي لديه من الثقة العالية ما يكفي للفت الأنظار وجذب الانتباه عن طريق تنوع كبير في أساليب وتركيبات بلاغية وخطابية مختلفة جاعلة منه رجلاً قيادياً من الطراز الرفيع يؤثر أيما تأثير في متلقي خطابه، ففي كل لحظة من لحظات الخطاب يختار القائد معمر القذافي أسلوباً خطابياً وصيغة خطابية وكلمات تؤثر وتعجب كل متلقٍّ لها، فهو

يعرف جيداً في أي وقت وفي أي مكان كيفية قول ما يتوجب عليه قوله وهو المدافع بشدة عنه والمتألق بقوة في قواعد اللغة العربية الفصحى، فبكل سمو وعظمة اللغة العربية وبكل إيقاعاتها المؤثرة يسترسل القائد في خطاباته، والمثير أيضاً للدهشة شعوره بالغبطة وعدم الارتباك عند توجيه خطاباته وبصورة تلقائية للجماهير المحتشدة أمامه، بالإضافة إلى جمعه للعديد من الصفات والمميزات التي تظهر بجلاء عند إلقائه خطبة، فهو يجمع بين القوة والهدوء والبساطة واتساع الاطلاع والمعرفة في شتى المجالات والعلوم. كما أنه يعرف تمام المعرفة نوعية المتلقي الذي يوجه إليه الخطاب، وهذا له دور فاعل في نجاح الخطاب وإيصال الأفكار المحمولة في طياته بكل يسر للمتلقي العادي الذي قد يصعب عليه تفسير الخطابات ومعانيها في كثير من المرات، فمن خلال نظرة شمولية إلى الخطابات المنتقاة لعملنا هذا نلاحظ وبوضوح أن القائد لا يغيب عن ذهنه في كل لحظة من اللحظات تفهم الظروف الاجتماعية والروحية للمتلقين التي تمكنه من شد انتباههم عن طريق أدلة وبراهين صائبة ومنطقية يكون لها الدور الرئيسي في نجاح الخطاب، وبالتالي إيصال المتلقين إلى الأهداف المنشودة من وراء الخطاب. وخطابات القائد خطابات سهلة الإقناع والاقتناع بها لما تحتويه من مضامين تثقيفية وترشيدية في شتى مجالات الحياة بداية من المشاكل اليومية التي يعيشها المواطن العادي إلى أخطر وأهم القضايا العالمية، فهو ما انفك ينبه لعدة مخاطر تحيط بعالمنا هذا وقد أثبتت التجارب صدق تنبوءاته ومن أجل كل هذا نالت خطاباته كل تقدير واحترام واسترعى انتباه الجميع في شتى أنحاء العالم.

والمتلقي لخطاب القائد يشعر بأنه قريب منه في كل لحظة، وهذا ناتج عن براعة القائد الخطابية وأيضاً أخذه في عين الاعتبار الدور الذي يلعبه المستمع في كل لحظة من لحظات الخطاب وهذا ما يجسد التواصل ما بين كل من الخطيب والمخاطِب، ما بين القائد وشعبه.

وقد أشار المفكر والعالم أرسطو في أحد مجلداته الثلاثة المتناولة موضوع البلاغة إلى أهمية معرفة نوع المتلقي في معادلة بسيطة تضمن نجاح أي خطاب ألا وهي:

فهم ومعرفة المتلقي + تنظيم المبرهنات ⇐ خطاب ناجح.

للكلمة تأثير أقوى من تأثير السلاح واختيار الكلمات عامل مؤثر ومهم في نجاح الخطاب. فإذا شعر المخاطب أن هناك كلمة معينة قد تشكل إرباكاً لدى المتلقي يمكنه إبدالها بالمرادف لها أو بتعريفها بحيث يتم قبولها بسهولة ولا تشكل عائقاً لتحقيق الأهداف المرجوة من وراء الخطاب. وترتيب الكلمات وانتقائها في جمل صفة سائدة في خطابات القائد معمر القذافي بحيث لا يراود المتلقي لهذه الخطابات أدنى إحساس بأنه يوجد عدم ترابط بين الجمل أو عدم توافق بين الكلمات وهذا ما يعطي للخطاب صلابته وقوة تماسكه.

أيضاً عملية إلقاء الخطاب لها دور كبير في التأثير في المتلقي **(الخصوصية ـ النبرة ـ السكوت بين الجمل ـ الهدوء ـ الحماسة ـ خفض ورفع نسق وتيرة الخطاب)**. فالرغبة في الإقناع تتطلب تقديماً جيداً من قبل المخاطب الذي يقع عليه عبء كبير لكي يجعل قيمة حقيقية لما يقول، فمعرفة النحو والكلمات وحدها لا تكفي بل المهم أن تكون خطيباً جيداً. وبما أن القائد يعتمد على الخطاب الملقى شفوياً **(الخطاب العفوي)**، نجد أن القائد يتحكم بأدوات هذا النوع من الخطاب بطريقة تدعو إلى الإعجاب. فعلى سبيل المثال نذكر هنا كيفية تحكمه في قوة ونبرة صوته وكيفية استخدامه على أساس أنه العنصر الأساسي في عملية الاتصال، فنجده تارةً حاداً أو خشناً، بطيء الإلقاء أو سريعاً، قوي النبرة أو خفيضها، فهذه المؤثرات هي بمنزلة الألوان بالنسبة للرسام لكي يظهر جمال لوحاته.

كما أن السكوت بين الجمل سمة ظاهرة في خطابات القائد، وهي لغرض إعطاء المتلقي الزمن الكافي لاستيعاب الفكرة وتحليل الجملة، وأيضاً لتهيئته للجملة التالية والقادمة في سياق ونص الخطاب.

والمثير للانتباه في خطابات القائد معمر القذافي حركة ووضعية اليدين والعينين. ففي حركة يديه اللتين لا تتوقفان عن الحركة لشرح ما يريد قوله ولتحميس وإلهاب مشاعر الجماهير. وكأن لسان حال يقول: إن هاتين اليدين تحملان عبء شعب وقارة وبشرية بأكملها تنتظر محررها من كل أشكال الظلم والتعسف والاستبداد. وفي عينيه تختفي نظرة عميقة قادرة على أن توصل كل المبرهنات والأفكار لعقول الآخرين بكل يسر وإقناع. نظرة مليئة بالفهم والتفهم والدراية بمستقبل وعواقب كل الأمور، نظرة التحدي لكل ما هو استعماري وإمبريالي ورجعي، فالقائد يحمل نظرات اعتزاز بالأصل وبالقيم، نظرة تحمل معاني صادقة وقيماً كبيرة، نظرة تعطي الطمأنينة والصدق في كل ما يقول وتعبر عن حال ما يريد قوله.

سنحاول التصعيد من وتيرة دراستنا هذه لنصل بها إلى البلاغة عند أرسطو، فلدراسة خطاب من الناحية اللغوية دراسة جيدة يجب معرفة الطرق البلاغية المتبعة فيه، كما نأمل في الوقت نفسه تقديم عمل حديث في التدليل والبرهنة والمحاججة والإيضاح وهذه كلها أساليب تندرج تحت الغطاء البلاغي.

فالبلاغة عند البعض هي حسن القول، وعند المفكرين القدماء هي فن الإقناع والتحكم في الكلام وفي كيفية إطلاق التحليلات والبراهين والدلائل. كما يؤكد أرسطو على أن البلاغة ليست التوضيح في حد ذاته وإنما هي البحث عن وسائل الإيضاح التي توافق كل شخصية على حدة. فالهدف من البلاغة هو البحث في إثبات نظرية معينة عن طريق الضغط على السيل المعرفي لدى الطرف الآخر (المتلقي).

وقد أشار أرسطو إلى هذا عندما اعتبر الخطاب السياسي هو التطبيق العملي للبلاغة فهو يرى أن البلاغة موجودة في روح الخطاب وجزء مهم من أدبيات الخطاب، ولها دور مميز في وضع الحقائق في مواضع أكثر أو أقل صدفة من خلال البرهنة والتدليل والتي سنتطرق إلى تعريفها في ما بعد.

والسؤال الذي قد يطرح نفسه: ما هي الأهمية والتأثير والنتيجة المحصلة من استخدام البلاغة في الخطاب السياسي؟ وللإجابة يجب الإشارة هنا إلى أن استعمال الأساليب البلاغية يطرح عدة مواصفات يجب أن يتحلى بها المخاطب، وأهمها البساطة والتبسيط لتهذيب وتثقيف الجماهير والشهامة لكسب المشاعر والتأييد والاعتدال لنيل الإعجاب.

وهي ذات الصفات التي جعلت من القائد معمر القذافي خطيباً مميزاً بأسلوبه البلاغي المنوع وبقربه من الجماهير المتلقية لخطاباته وإن كانت بالملايين، فهو القادر الوحيد على تحريك مشاعر من حوله وجعلهم يحسون بأن مخاطبهم هو واحد منهم يعيش بينهم. ومن خلال دراستنا بعض الخطابات وجدنا أنها تستجيب بصفة خاصة إلى ثلاث خصائص بلاغية ألا وهي التثقيف والتهذيب وتحريك المشاعر والتأثير والإعجاب لغرض الإقناع.

عند التكلم عن البلاغة علينا الإشارة إلى أهمية ترتيب الجمل في الخطاب وما له من أهمية كبيرة من الناحية البلاغية فعادة ما تكون بداية الخطاب بصيغة تأكيدية على نظرية معينة يراد طرحها ومن ثم تفنيد ما يناقضها، وفي كلا الحالتين يتم استعمال البرهنة والتدليل وتكون تكملة الخطاب بصيغة النصح والترشيد ويتخلل كل هذه الصيغ استعمال للصيغ الاستفهامية لما لها من دور في شد انتباه المتلقي.

ومن خلال دراستنا لاحظنا أنه لا يكاد يخلو خطاب من خطابات القائد معمر القذافي من الصيغ الاستفهامية التي تشرك المتلقي في البحث عن إجابات للأسئلة المطروحة عن طريق هذه الإجابات يرشد للهدف

المرجو من وراء الخطاب. وعادة لا تخرج الصيغ المستخدمة في الخطاب عن صيغ **(الإخبار ـ الأمر ـ السؤال ـ التعجب، الرجاء)**.

مثال: ما هو الهدف الذي تم استرداده والعدو الذي تمت هزيمته؟ **«خطاب القائد في العيد (31) لثورة الفاتح من سبتمبر»**.

ويكون استخدام صيغة السؤال بكثرة في الخطاب لما تتضمنه من قيم برهانية استدلالية كثيرة تساهم في إرشاد المتلقي لمضمون الخطاب.

وأسلوب الأمر والإخبار يظهر في عمليتي تحريض وترشيد الجماهير وهذا يدفعها لتقبل العديد من النظريات والتصرفات. مثال: أرجو أن تفهموا هذا الكلام جيداً لأن هو الذي فيه مستقبلنا وفيه مصلحتنا .**«كلمة القائد في جماهير مدينة أغاديس بالنيجر 1/ 7/ 2000»**. وكما نلاحظ في المثال أن صيغة الأمر جاءت مبطنة بصيغة طلب متجسدة في الفعل «أرجو» وذلك للتخفيف من حدة صيغة الأمر وهذا الأسلوب يتبع دائماً في مثل هذا النوع من الجمل.

يعتبر المفكرون أن المجادلة كانت هي الأساس والسبب الرئيسي في ولادة البرهنة. والبرهنة هي الوسيلة المتبعة لتقديم وطرح وترتيب البراهين في خطاب ما لتقود المتلقي إلى نتيجة ما.

والبرهنة أو التدليل هي علم الإيضاح الذي يمكِّن من التعرف على الشروط والوسائل لأي أسلوب خطابي متبع، وهي ظاهرة اجتماعية تستوجب عدة أشخاص لا يقل عددهم عن اثنين. وتتكون البرهنة من مجموعة من الحجج والبراهين التي تحمل في طياتها تأكيد أو رفض نظرية معينة تقود في النهاية إلى هدف محدد بدقة وعناية.

وتكون البرهنة على مراحل بحيث تطور لغة الخطاب تدريجياً للوصول إلى هدف منشود في نهايتها. فهي أسلوب تأثير يستخدم اللغة بالأساس بالإضافة إلى عوامل أخرى مساعدة.

وترتكز عملية البرهنة على تقديم الدلائل للنظرية المتداولة وإظهار الحجج التي تفند كل ما يناقضها. فالإثبات أو التأكيد هو بمعنى آخر عملية برهنة يتوجب فيها على الخطيب تفكيك العمق الكامن في نظريته وهذا هو الجزء الأهم والأكثر تعقيداً.

ويمكن لعملية الإثبات أن تكون بشكلين إما أن يطرح الخطيب نظرية معطاة الأدلة والبراهين أو بالعكس يقوم الخطيب بتفنيد نظرية الضد.

وفي معظم الخطابات التي قمنا بدراستها نجد أن القائد معمر القذافي يبدأ بالتأكيد على نظرية مختارة قبل أن يبدأ في تفنيد ضدها وتعتبر هذه الطريقة هي الأسلم والأفضل لتكوين البراهين لأنه من الصعب أن ترتكز عملية البرهنة على دحض وتفنيد الضد فقط دون دعم وتأكيد النظرية المتبناة. فللإقناع وكسب الرأي يفضل البدء بالبرهنة «مع» ومن ثم الانتقال للبرهنة «ضد» بحيث نؤكد نظرية معينة ومن ثم نأتي بالنقيض لزيادة إظهار صحة وقوة النظرية المتبناة.

عملية البرهنة يجب أن تكون مؤثرة فعالة وسارية المفعول للإجابة عن عدة معايير. فهناك فرق بين مبرهنة مؤثرة ومبرهنة سارية المفعول فالأولى تستهدف متلقياً بعينه أما الثانية فهي للمتلقي العام، وتكون عملية البرهنة متكاملة إذا جمعت الاثنين. وعملية البرهنة من المعروف أنها تأخذ قوتها من متلقيها لذلك وجب على المخاطب معرفة عادات وتقاليد ونمط تفكير هذا المتلقي، وعليه في الوقت نفسه تجنب كل ما يمكن رفضه وعدم القبول به من قبل المتلقي الذي يفرَض نفسه في كل لحظة من لحظات الخطاب. ويمكن أيضاً تناول ما يرفضه المتلقي من قبل المخاطب من طريق الدحض والرفض وبذلك يكون المخاطِب في صف المخاطَب مما يساعد المتلقي على تقبل كل ما يطرح عليه من براهين ونظريات من خلال الخطاب. فمعرفة المتلقي معرفة تامة عملية مهمة بشكل كبير لأنها تمكن من اختيار المناهج والأساليب الأنسب لإقناعه. وقد تكون البراهين الموضوعة

لغرض «مع» بالنسبة للمتلقي «ضد» فتأتي عملية البرهنة بنتائج عكسية والعكس صحيح أيضاً عند القيام بعملية تفنيد ودحض.

وتعتبر هذه النقطة من الأهمية بمكان بحيث يجب أن تأخذ وقتاً لدراستها دراسة معمقة ومستفيضة فهي السبيل الوحيد لإقناع وكسب رأي المتلقي ولضمان أكبر قدر ممكن من النجاح للخطاب. فلا يجوز نسيان أن الغرض من أي برهنة هو إظهار النجاح والفاعلية في الإقناع وأن هدف الخطاب هو جعل المستمع يتناول ويساهم ويفكر في القيم المتضمنة داخل الخطاب.

ومن الواضح في خطابات القائد معمر القذافي أنه اختار بأن يكون في صف الشعوب لا بصف الحكومات وبالتالي كانت براهينه بالنسبة للمتلقين «مع» وليست «ضد» مما ساهم في زيادة شعبيته وعشق الجماهير لهذا القائد.

تعتمد ترتيب البرهنة والدلالة في الخطاب على جماعيتها وترتيبها بحسب قوتها فهناك آراء ترى أن البداية بالبراهين والدلالات القوية تعطي أثراً سريعاً في المتلقي وبعض الآراء ترى أن البداية بالبراهين الأضعف فالأقوى يسمح بتدرج في الاستيعاب لدى المتلقي وآراء أخرى ترى أن تكون البداية والنهاية بالبراهين والأدلة القوية وتكون الأقل قوة بينهم.

فمن المهم جداً معرفة كيفية بناء الخطاب عن طريق ترتيب البراهين في منطقية وتوافق. إذ إن من السهل إبطال صحة خطاب عن طريق الطعن في عدم توافق مبرهناته وبالتالي عدم صحتها.

فلولا البرهنة لما أمكن التمييز والتفريق ما بين هو **(جيد وغير جيد ـ معقول وغير معقول ـ عدل وظلم)**.

ومنطقية وتوافق البراهين في خطب القائد سمة ظاهرة حيث يكون ترتيبها بحسب قوتها ما يسمح بالتدرج المنطقي في الاستيعاب لدى المتلقي

في كثير من الخطابات وفي بعض الخطابات تكون البداية بالبراهين القوية إذا كان الموضوع المتناول واضحاً ولا يحتاج إلى شرح.

على المخاطب استعمال كل الأساليب البلاغية في براهينه بحيث يبدأ باختيار الأشكال الأبسط والأكثر فائدة وتأثيراً ومن ثم الإقناع بالطرق المنطقية والفكرية التي تزيد من حضور المبرهنات في الخطاب ويعمل على إدخال المرادفات والمعاني التي يختص بها والتي تساهم في إظهار شخصيته بشكل واضح من خلال الخطاب.

وللقيام بعملية تحليل للمبرهنات يجب اعتبار الخطاب حدثاً عاماً متكوناً من أحداث منفصلة مرتبة لجذب المتلقي نحو خاتمة مأمولة ويمكن تبسيط هذه العملية من خلال المعادلة التالية:

إستراتيجية خطابية برهانية

الخطاب = نقطة البداية ← **هدف**

حدث منفصل + حدث منفصل...

والملاحظ في هذه المعادلة وجود الاستراتيجية الخطابية. إذن للقيام بعملية تحليل خطابي دقيقة يجب تحليل الاستراتيجية الخطابية المتبعة في الخطاب وهي التي تلعب الدور الأساسي في خلق المشاركة ما بين المخاطِب والمخاطَب.

وللبرهنة عدة أشكال وأهمها:

1 - البرهنة بالمقايسة: وهي تتكون في العادة من ثلاثة عناصر **(محور عام ومحور خاص ونتيجة)** ويمكن إيضاحها من خلال المثال المعطى في المجلد الأول للبلاغة لأرسطو:

كل إنسان فان (محور عام)
سقراط إنسان (محور خاص)
سقراط فان (خاتمة أو محصلة)

ومن ميزات هذه الطريقة التدرج البسيط في إعطاء المعلومة والمرور من المعلومة العامة إلى المعلومة الخاصة، ولكن من الممكن جداً أن تأخذ هذه المبرهنة اتجاهاً آخر بحيث يتم الانتقال من الخاص إلى العام ويترك هذا الأمر لتقديرات المخاطب وفي ما يراه أكثر خدمة لإيصال فكرته.

مثال: يستخدمون ما يسمى الأمم المتحدة من أجل اضطهاد شعوب الأمة الإسلامية (**محور عام**) إن ما يجرى ضد ليبيا هو ليس بسبب قضية أخرى (**محور خاص**) ولكن هو استهداف لتدمير الإسلام (**خاتمة ـ محصلة**). «**خطاب القائد في كانو ـ نيامي**»

2 ـ البرهنة بالمقارنة: ويتم فيها مقارنة الأوضاع الحالية سواء كانت اجتماعية أو دينية أو سياسية بالأوضاع في عصور وفترات مضت بغية بعث الأمل في مستقبل أفضل. ويكون السؤال الذي يمر في الأذهان في هذه العملية (**هل حصل هذا؟ هل الآن يحصل هذا؟ هل سيحصل أو يمكن حصوله؟**) وكذلك يكون هناك وجود للروابط.. لكن، أما الآن...؟ عادة بين الجمل المقارن بينها.

مثال: «أنا عندي هدف، عندي عدو انتصرت عليه، عندي هدف استرددته، (خلاص) أي أنا فاهم أن مصلحتي السلام علشان كذا».

3 ـ **البرهنة الفلسفية**: ميزتها أنها تخاطب عقل المتلقي وليست في حاجة إلى أدلة مادية لدعمها ويلاحظ أنها تأخذ حيزاً كبيراً في خطابات القائد معمر القذافي.

مثال: أ. كل المسلمين عرب. كلكم من أصل عربي. كل من اعتنق الإسلام هو من أصل عربي. فتدمير أمة العرب هو تدمير للإسلام «كانو ـ نيامي».

ب. الذي يلقي بندقيته لا بد في أن نسأله لماذا ألقى البندقية؟

الجندي لماذا يحمل البندقية أصلاً؟ يحملها لكي يقاتل عدواً هجم عليه أو يحتل أرضه. إذاً العدو الهاجم تمت هزيمته وتم القضاء عليه، وإذاً الأرض التي يحتلها العدو تم استرجاعها، هل الجندي يستمر في إطلاق النار في هذه الحالة يعتبر مجنوناً. إذاً العدو احتل هدفاً وأنت استرددت هذا الهدف، هل تطالب باستمرار القتال. الذي يحتل الهدف هو أول من يطالب بإيقاف إطلاق النار لماذا لأنه حصل على الهدف وليس من مصلحته استمرار القتال. الذي فقد الهدف هو الذي قد لا يطلب إيقاف النار لأنه يريد أن يسترد الهدف الذي افتكّ منه **«خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح من سبتمبر 1/ 9/ 2000»**

4 ـ **البرهنة بآيات من الكتب المقدسة**: وهذه البرهنة تقوم بمخاطبة روحانيات المتلقي وتعتبر من أقوى أنواع البراهين إذ إنها لا تدع مجالاً للشك فيما يقول المخاطِب وعادة ما يكون هذا النوع من البراهين لتأكيد ولتدعيم براهين سبق طرحها، ومن خلال الخطابات التي قمنا بدراستها وجدناها ما لا يقل عن ثلاثة براهين من هذا النوع مستخدمة في كل خطاب على حدة (آيات من القرآن الكريم)، مما يشكل ظاهرة أساسية في خطابات القائد معمر القذافي تعطي بعداً روحياً ودينياً بالإضافة إلى الأبعاد السياسية والثقافية لخطاباته.

مثال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. **خطاب القائد بمدينة كانو ـ نيامي.**

﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾. **خطاب القائد في مناسبة العيد الواحد والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.**

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ **خطبة الجمعة بتشاد في إنجامينا.**

5 ـ **البرهنة بالسخرية والتصغير**: ويستخدم هذا النوع من المبرهنات لإبراز وإظهار وضع مزر ومخز سواء لنقد الذات أو لانتقاد العدو بطريقة تظهر فيها أهمية وخطورة النظرية المتناولة في الخطاب.

مثال: ما فيش أفقر من الشعب الصومالي وما فيش أغنى وأكبر من أميركا لما جربوا بعضهم في الميدان هزمت أميركا. لذا الآن من المستحيل أنك أنت تقدر تستعمر أراضي الغير .**خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح من سبتمبر.**

6 ـ **برهنة الضحك**: وهي لإبراز شيء عجيب وغريب ولكنه كان موجوداً أو قائماً وتستعمل للتخفيف من حدة الخطاب ولإبعاد الملل عن المتلقي للخطاب وجعله يتابع الخطاب بشغف حتى النهاية ويكون لطريقة إلقاء البرهنة دور كبير في هذه العملية.

مثال: عمر المختار إلي كنا نقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة أنا وإخوتي الرؤساء. أعدموه شنقاً لأنهم اعتبروه مواطناً إيطالياً متمرداً ضد الحكومة الإيطالية ما عدموشي بالرصاص ما عتبروشي مقاتل في سبيل الحرية. يعدم بالرصاص. لماذا عدموه شنقاً وهو مقاتل لأنه قالوا هذا مواطن إيطالي متمرد على الحكومة الإيطالية إذن يشنق. عمر المختار مواطن إيطالي!! خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.

7 ـ **برهنة الإعادة**: وهي من أبسط أنواع عمليات البرهنة وتتمثل في إحياء كلمة وإعادتها وإظهارها في حيز الخطاب والإعادة هنا ليس لأن المتلقي لم ينصت للكلمة ولكن الإصرار وللحصول على حدث معين (**تحسيس ـ شغف ـ صدم أو إفزاع**). ويمكن أن تكون الإعادة لجملة أو حتى لمبرهنة برمتها. وهناك أيضاً إعادة معنى الكلمة كما يمكن إعادة البراهين من خطاب إلى آخر بطرق مختلفة بمساعدة

الأساليب البلاغية المتنوعة.

بعض الأمثلة:

1 ـ قررنا تأمين وبناء منارة علمية إسلامية مركزية في مدينة كانو لتشع نور الإسلام وحضارة **الإسلام** وثقافة **الإسلام «كانو»**.

2 ـ لا يتكلمون اليوم عن الإسلام إلا من باب الإرهاب **والقتل والتطرف والمجازر**.

3 ـ الأمم المتحدة لا تأمر بقتل أطفال، **الأمم المتحدة لا تأمر** بتدمير الشعب الفلسطيني، **الأمم المتحدة لا تأمر** باحتلال القدس، **الأمم المتحدة لا تأمر** باحتلال مكة والمدينة .**خطبة القائد بصلاة الجمعة في مدينة كانو**

4 ـ هذا التطاول وهذه الاستهانة بأمة العرب بأمة الإسلام **يجب ألا يدوم يجب ألا يستمر .خطبة القائد بصلاة الجمعة في كانو»**.

وبالإضافة إلى أنواع البرهنة السابقة هناك أنواع أخرى منها على سبيل المثال البرهنة بالأمثلة والشواهد التاريخية والإيحاء والإيعاز والبرهنة بالدراسات والأرقام... الخ.

وقد تستعمل بعض البراهين المتعارف عليها لدى الجميع ويكون دور المخاطب إعطاءها الحجم اللائق بها ووضعها في صورة تبرز جميع جوانبها. فعلى المخاطب أن يعطي البراهين الحضور القوي لتنال استحسان وإعجاب المتلقي وذلك من خلال الصوت والصورة. والصورة التي يعطيها المخاطب هنا تعرف ب (ethos) تلعب دوراً كبيراً في عملية البرهنة وبالتالي في عملية الإقناع وخاصة في الخطاب السياسي الذي من خلاله تأخذ شخصية المخاطب مكانة خاصة تلتف حولها الأنظار لترقب كل كبيرة وصغيرة تصدر عن هذه الشخصية، ولتلاحظ الأسلوب البصري المستخدم

لإيصال وشرح البراهين وإقناع المتلقي بها.

وقد لاحظنا من خلال تحليل المبرهنات في بعض خطابات القائد أن المبرهنات موجودة بكثرة وبشتى أشكالها لغرض الشرح والتبسيط. والأهم أنها مرتبة بطريقة مميزة، وكل هذا يتم في خطاب شفوي عفوي بدون تكلف أو اصطناع، حقاً إن هذا ليدعو إلى الإعجاب بشخصية هذا الخطيب.

وبما أنه تكلمنا عن البرهنة وأهميتها في الخطاب وجب علينا الإشارة إلى عنصر آخر لا يقل أهمية لتكملة الأساليب البلاغية ألا وهو الإيضاح.

فالإيضاح هو الحدث الذي من خلاله يتحكم الخطيب في تغيير لغة الخطاب. فهو يلعب دوراً كبيراً في استراتيجية التأثير وتفعيل وإقناع المتلقين من خلال برهنة تأتي في السياق. والإيضاح يسهل ويمهد لما سيقال بعده سواء كان دفاعياً أو هجومياً فالإيضاح عبارة عن (ثقافة اجتماعية). ولكي يكون الإيضاح صحيحاً يجب أولاً معرفة الظروف الاجتماعية المحيطة. بعد التأكد من أن الإعلان صحيح أم غير صحيح من الناحية اللغوية وصواب أم خطأ من الناحية المنطقية، يجب التأكد من ان الإعلان ناجح أم غير ناجح. أي بمعنى أنه يحدث الأثر المطلوب والمتوقع على المتلقي أم لا. لأجل كل هذا وجب معرفة القواعد اللغوية والمنطقية والاجتماعية. فطريقة استخدام هذه الإيضاحات يجب أن تكون صحيحة ومدروسة بحيث تتضمن مطالب معينة في الوقت ذاته.

ومن أكثر الإيضاحات تكراراً في الخطابات السياسة **(إن ـ الآن ـ لأن ـ لأجل هذا....)**

مثال: نريد أن نستنفر ملايين المسلمين من بداية هذا العام لنظهر قوتنا (الإيضاح الأول) ونريد بهذه الصلوات الجماعية في الساحات العامة أن نستعرض قوة الإسلام (الإيضاح الثاني). **خطبة صلاة الجمعة التي**

ألقاها القائد في مدينة كانو.

تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد إيضاح مستقل بذاته في الخطاب فعادة ما يكون ضمن سلسلة تتأقلم وتنسجم مع كل الظروف المحيطة بالخطاب. فمثلاً في المثال السابق استخدم الإيضاح الأول والثاني لإعطاء معنى: نريد أن نستعرض قوة الإسلام لنظهر قوتنا.

أيضاً لا بد من الإشارة هنا إلى استخدام «**نحن**»«**وضمير ملكيتها «الناء» المستخدمة في آخر الكلمة** تستوجب معرفة من المقصود بها هل المتكلم أم الفئة التي يمثلها ويقوم مقامها، لأنه عندما يريد المخاطب أن يتكلم باسم الجماهير كقائد لها يظهر بوضوح استخدام صيغة الجمع «**نحن**» والمثالان التاليان يوضحان الفرق والاختلاف عند استخدام صيغة الجمع.

نحن لنا عامنا الذي يبدأ هذا الشهر **ولنا تقويمنا** القمري **ولنا ديننا** ولهم دينهم. خطبة القائد بكانو.

اخترنا مدينة كانو لأن هذه المدينة هي إحدى ديار الإسلام التاريخية **ونريدها** أن تكون مثابة لمسلمي أفريقيا اعتباراً من هذا اليوم .**خطبة القائد في كانو.**

هناك العديد من المفاتيح لبداية إطلاق الإيضاحات ولنقل المتلقي إلى الحدث وإشراكه في الزمن والمكان. فعلى سبيل الذكر لا الحصر نذكر هنا **(الآن ـ من هنا ـ من هناك ـ من هذه ـ من هذا ـ إذاً ـ في الأمس ـ في الأمس القريب ـ اليوم ـ غداً ـ في الغد ـ وكذلك البداية بذكر تاريخ معين).**

أمثلة: **الآن** أمامنا الأرض التي دمرها الاستعمار نريد أن نعَمرها. أمامنا التخلف الذي فرضه علينا الاستعمار نريد أن نتغلب عليه .**كلمة الأخ قائد الثورة في جماهير مدينة أغاديس بالنيجر، 1/ 7/ 2000.**

في الأمس القريب كنا نحتفل بمثل **هذا اليوم** ولكن كنا نسمع أزيز الرصاص **اليوم** نحتفل وأمامنا خريطة جديدة كلية للعالم تختلف تماماً عن

خريطة الأمس القريب .خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.

وكذلك يتم استخدام أدوات للربط مثل (**لأن ـ حتى ـ لكن...**) لتعطي التوافق المطلوب بين الإيضاحات وبين الجمل.

أمثلة: ارتفع صوتنا عالياً وفرضنا نفسنا فوق الأرض بجدارة لكن لم يتم ذلك بسهولة لقد دفعنا الثمن شهداء ودماء وعرقاً ودموعاً ومكابرة وتحدياً أمام ظروف ووسط ظروف غير متناسبة أمام قوى لا إمكانية للمقارنة بيننا وبينها. **خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.**

كنا نحتفل بمثل هذا اليوم **لكن** كنا نسمع أزيز الرصاص قريباً منا. **خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.**

أرجو أن تفهموا هذا الكلام جيداً **لأنه** هو الذي فيه مستقبلنا وفيه مصلحتنا. **كلمة القائد في الجماهير مدينة أغاديس.**

على المخاطِب أن يحرص جيداً على تنشيط الإيضاح بواسطة قدراته العقلية وكفاءته الخطابية.

ويركز القائد معمر القذافي على استخدام العديد من الأدوات لإطلاق الإيضاحات والجمل وبالأخص على (**إن ـ لأن ـ كنا ـ اليوم ـ في الأمس القريب ـ نحن**) ويبرع في تنسيقها على الرغم من أن خطاباته شفوية عفوية غير معدة سلفاً أو متكلفة مما يصعّب من عملية تنسيق واستخدام هذه الأدوات.

وتجدر بنا هنا الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلق باستعمال أسلوب النداء. فعند استخدام هذا الأسلوب ينوب الضمير «**أنا**» للمخاطِب عن الضمير «**نحن**» ويكون أسلوب النداء بالنسبة للمخاطِب بصفة المفرد وذلك لإعطاء دفعة قوية للنداء الموجه، ولنا في هذا **مثال من خطبة القائد في جموع المصلين بمدينة كانو**:

«أيها المسلمون أبناء الأمة الإسلامية من جميع أنحاء القارة الأفريقية أهتئكم في هذا اليوم أول جمعة....».

كما نود أن نشير إلى نقطة أخرى ألا وهي عملية اختيار الشعارات ذات الرتم الواحد التي تبقى في آذان المتلقي وتحدث أثراً كبيراً في إبهاره وتثقيف فكره. فمن منا لا يعرف الشعار الذي أطلقه الأخ قائد الثورة لتحرير الأرض من كل مغتصب ومستعمر «**الانتصار ولا العار**».

«**الإسلام هو الإسلام والإسلام هو الإسلام**» هذا ما قاله الأخ قائد الثورة في خطبة الجمعة بمدينة كانو لجماهير المصلين الأفارقة.

التحليل الأيديولوجي:

الأيديولوجية لا تحدد فقط طريقتنا في الحديث والكلام وإنما تكمل معنى كلامنا. ومن مزايا الخطاب السياسي أنه من أفضل أنواع الخطاب الذي يخضع للتحليل الأيديولوجي.

فالتحليل الأيديولوجي يعتمد على دراسة العلاقة ما بين اللغة والثقافة. فالثقافة الفكرية هي مجموعة تصرفات وتقديمات مدعّمة بالوضع الاجتماعي وهي في الوقت نفسه تحمل تركيبة أو عدة تراكيب خطابية مترابطة في ما بينها تقوم باختيار ما يجب قوله في أي خطاب. فمثلاً يظهر جلياً اختلاف الأيديولوجية بالنسبة لكلمة «حرية» ما بين مخاطِب مستعمِر ومخاطَب مستعَمر. فلكل منهما قصده من وراء هذه الكلمة والذي يختلف اختلافاً تاماً عن قصد الطرف الآخر.

والتحليل الخطابي لا يأخذ في الحسبان فقط دور اللهجة السياسية بل يصل إلى حد دراسة الأيديولوجية المتعلقة بالموضوع المتناول في الخطاب. فهذه الأيديولوجية تتضح معالمها من خلال الاستعمال الكمي لمفاتيح الكلمات التي تكوّن الهيكل الأساسي للخطاب والتي ترتكز عليها الأفكار الأساسية.

فلكل مجموعة أو شريحة فكرية كلماتها التي تترجم أطروحاتها. وفي الإمكان معرفة هذه الكلمات عن طريق تحليل علم العروض ويهتم هذا النوع من التحليل بالكلمة «المفتاح» وما يصاحبها من كلمات قبلها وبعدها. ولمعرفة معنى كلمة يجب تحليلها في جميع المواضع الموجودة فيها وبحسب سياقها في الجملة. فمن الممكن أن نجد خطباً عديدة تتضمن نفس الكلمة ولكن ليس من الضروري أن تعني نفس القصد والمعنى. ولفهم المعنى يجب معرفة وضع المخاطِب في الوسط الذي يلقى فيه الخطاب. وكما سبق أن أشرنا إلى أن معنى الكلمات يتغير بحسب موضعها وبحسب مستخدمها فكلمات حرية واستقلال وتطور وحضارة لا تعني نفس الشيء في خطابات كل من المستعمِر والمستعمَر مثلاً.

فعلاقة أيديولوجية المخاطِب بالخطاب واضحة وهي الأساس في كل ما يقال داخل الخطاب ولا يمكن تجزئتها.

نأخذ مثلاً الشعارات التي ينادي بها القائد معمر القذافي نجدها تنادي بالكفاح والنضال من أجل الحرية وبالعدالة والمساواة وتبشر بالأمن والسلام وبالتبشير بعصر الجماهير، وتتمثل كل هذه القيم والمعاني في كلمات وأفعال متكررة في خطابات القائد نذكر منها هنا **(الشعوب المضطهدة ـ الاستعمار ـ الحرية) و(يتحدى ـ يسترد ـ يمارس ـ يجب ـ يشهد ـ يسيطر ـ يهزم ـ يساهم ـ يستعمر ـ يدافع ـ يضطهد ـ يعطي ـ يقول).**

واللافت هنا أن كل تلك القيم العالية يتم إيصالها من قبل القائد معمر القذافي إلى المتلقي بواسطة هذه الكلمات والأفعال في تركيبات وبراهين فعالة ومؤثرة تصل إلى فكره وقلبه بكل يسر وسهولة.

كما أن عملية ترديد وتضخيم بعض الكلمات لتأخذ حيزاً يليق بحجمها ومكانتها مرده إلى أن هذه الكلمات هي أساس الخطاب وإلى أنها تعبر عن فكر أيديولوجي معين بحيث تصبح هذه الكلمات بمنزلة الشعارات

التي لا يمكنها أن تنسى من قبل المتلقي وبالتالي يكون لها دور في تثقيفه وتهذيب أفكاره لتكون قريبة من أفكار وأيديولوجيا المخاطِب.

ونجد الكثير من هذه الكلمات في خطابات القائد فعلى سبيل المثال: **(الرجعية المتعفنة، والإمبريالية المتغطرسة، والعدو الصهيوني، سلطة الشعب، عصر الجماهير، السلام العالمي، انعتاق البشرية، الحل النهائي...)** وللقائد معمر القذافي قيم أيديولوجية عدة، فهو قائد أممي لحركة شعبية عالمية ومفكر ومبشر بأطروحات نظرية فيها الحل والخلاص النهائي للعالم أجمع، وهو القائد المسلم الأفريقي الثائر على كل الأوضاع الراهنة للأفارقة والمسلمين فكان من الضروري أن يظهر أثر كل هذا في خطابات القائد من خلال كلمات لا تدع مجالاً للشك في صدق التوجه والصراع من أجل العديد من الأهداف والقيم.

فمثلاً: إن أفريقيا هي ليبيا وليبيا هي أفريقيا .**خطاب القائد في العيد الحادي والثلاثين لثورة الفاتح العظيم.**

وكذلك بعض الجمل والكلمات مثل: **(أفريقيا ـ القارة الأفريقية ـ الشعوب الأفريقية ـ الإسلام ـ الأمة الإسلامية ـ العالم الإسلامي ـ الثورة العالمية ـ الحرية ـ الأمن والسلام العالميان).**

كما أن من أبسط ما يمكن الإشارة إليه هنا وما قد يعتبره المتلقي شيئاً عادياً، اعتاد على سماعه، ولكن في الحقيقة يحمل معنى كبيراً ومغزى مهماً، فعملية البسملة «**باسم الله**» التي يبدأ بها القائد خطاباته فيها دلالة على أن المخاطِب يؤمن إيماناً كاملاً بالله وان كل ما سيقوله في خطابه لا يخرج عن إطار الشرع والدين. والبداية بالبسملة لها سبب آخر وهو معرفة المخاطِب معرفة جيدة بثقافة وعادات وروحانيات المتلقي كما سبق أن أشرنا إليها.

عادة ما يختتم القائد معمر القذافي خطاباته بجملة «**وإلى الأمام**

والكفاح الثوري مستمر». وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مواصلة الكفاح والنضال من أجل تحقيق الآمال والأحلام المشروعة لكل الشعوب المقهورة في العالم، وفي هذا كل معاني النضال والوفاء لقيم وضعها القائد أمام عينيه لتكون هدفاً لا عدول عنه ولا رجعة فيه.

وما استدلال القائد بالآيات القرآنية في خطاباته إلا تأكيد على أنه يسترشد بما أنزل الله في كتابه العزيز لتحقيق كل ما يرنو إليه من أحلام وتطلعات من أجل البشرية كافة.

وفي نهاية هذا التحليل نود الإشارة إلى أن للزي الذي يرتديه المخاطب أثناء تأديته للخطاب دور يساهم بصورة فعالة في إعطاء لمحة عن الأيديولوجية التي يعتنقها.

نجد أن القائد معمر القذافي عرف عنه تمسكه بالزي الوطني والأفريقي خلال الخطابات الشعبية، فالزي الوطني ما هو إلا دلالة على التشبث بالجذور هو ابن الشعب فهو منهم وفيهم كما فيه رمز لمقاومة الآباء والأجداد جميع صور وأشكال الاستعمار القديم. وبالنسبة للزي الأفريقي فهو يدل على أن ليبيا وقائدها من هذا الفضاء الكبير هذه القارة العملاقة والضخمة في إمكاناتها وثرواتها، ويدل على أن القائد ماضٍ في درب توحيد هذه القارة وتكثيف كل الجهود وتذليل كل الصعاب لتحقيق هذا الهدف المنشود.

تلك هي النتيجة المتحصل عليها من خلال التحليل العلمي الأيديولوجي لشخصية القائد وخطابه السياسي، الذي كافح ويكافح وسيكافح ضد كل ما هو معاد للإنسانية ولحرية البشر، فهذه الشخصية المثيرة للاهتمام وللدراسة... هذه الشخصية ستبقى مخلدة في تاريخ نضال الشعوب وسوف تثبت الأحداث في المستقبل صواب وصدق أطروحاتها التي تبشر بها وسوف يشهد العالم على مدى مقدرة هذه الشخصية في تطوير الفكر الإنساني وعلى قدرتها في تغيير مجرى الأحداث والتاريخ.

التصوير القصصي
في فكر معمر القذافي

حميدة المهدي صقر

المقدمة

إن ما يتعرض له المجتمع الإسلامي من تخريب بات واضح المعالم ومسبباته واضحة وآثاره تغرق عقولنا. وتغزوها بترهات هذا العصر الذي أصبح ينقلب رأساً على عقب بما تريد أن تطبقه الدول الغربية على مجتمعاتنا وكأننا حقول لتجاربهم المدمرة المستهدفة لما دعته بالعولمة! لتحاول تهميش ما تراه من قوة وحماسة وحب أبناء المجتمعات الإسلامية الصادق لدينهم وأرضهم لكي تقضي على تلك القيم الإنسانية العظيمة...

هذا النظام الذي تفرضه الدول الغربية والذي تحاول من خلاله تهميش الهوية الإسلامية يستوجب علينا نحن الباحثين والفنانين على حد سواء، حماية مجتمعنا الإسلامي من الأغراض القصدية المترامية وكل بحسب مجاله. وترى الباحثة أن تسخر قدرتها الفنية والفكرية في خدمة مجتمعنا العربي عبر هذا البحث حيث سيساهم في رفد المعرفة الدينية من خلال الأعمال الفنية التي ستكون الجزء المهم والأساسي من البحث والذي ستتناول فيه ضوابط القيم والسلوك والأخلاق وترسيخ القيم الإسلامية بما ينص عليه القرآن الكريم وتوضيح قصصه المدروسة دراسة علمية بحتة وتطبيقها لتكون مماثلة لتلك الحقبة والزمن.

ليدرك القرآن وما يحتويه، كل إنسان على وجه الأرض..عربياً كان أم أعجمياً... فإن لم يقرأه كتابة يقرأه بالبصر.

ثقافتنا مهددة:

تواجه أمتنا الإسلامية تحديات كبيرة وكثيرة في مجالات الحياة كافة مثل الحفاظ على الهوية وترسيخ القيم والحفاظ على المبادئ التي مثلت أكبر التحديات في ظل عالم باتت فيه العولمة أداة لطمس المعالم الخاصة بالعامة وتحويل الخاص إلى عام.

وإزاء ذلك كان للمثقف والفنان دور أساسي في بلورة أشكال جديدة مهمة للحفاظ على تلك الهوية انطلاقاً من أن المثقف أو الفنان كما يعرفه (ماكس فيبر) بأنهم (مجموعة من الأفراد الذين تمكنهم قدراتهم ومواهبهم الخاصة من النفاذ إلى منجزات ذات قيمة ثقافية)[1]. هذا يقودنا إلى أن المثقفين اليوم (هم رجال الفكر والأدب والفن، وهم رجال التنوير الذين يضيفون إلى فكر الأمة وثقافتها وحضارتها شيئاً جديداً كونهم يمثلون هموم أمتهم)[2]. وعلى هذا الأساسي يجب على الفنان العربي المسلم أن يعلم جيداً حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه في الدفاع عن أمته والحفاظ على قيمها، من خلال فنه الملتزم والصادق في ظل الانفتاح العالمي غير المحدود والبرمجة القصدية الموجهة إلى الجيل الجديد الذي هو أساس بناء المستقبل، ولما كانت الثقافة هي (أسلوب الحياة المشترك بين أعضاء مجتمع ما)[3] أو (هي مجمل الكسب الإنساني في تفاعله مع بيئته المادية

(1) هادي شابيرد، نظرات في الثقافة، ترجمة، محمد علي العريان، القاهرة: دار أحياء الكتب العربية، 1961، ص183.

(2) وقائع المؤتمر الثقافي الوطني الثالث، الجامعة الأردنية،عمان، 1986، ص10.

(3) سعد الدين إبراهيم، اتجاهات الرأي العام نحو مسألة الوحدة، دراسة ميدانية، بيروت، مركز الدراسات.

والاجتماعية ومع مصادر معرفتهم المكتسبة والمتلقاة من المصادر الدينية حيث تشمل العقائد والأعراف والأفكار والعادات والتقاليد ونمط الحياة)[1].

فهي أمر بالغ الأهمية في بحثنا هذا الذي نتطرق فيه إلى كل ما من شأنه الحفاظ على مجموعة هذه القيم والتقاليد المكتسبة والمتوارثة عبر الأجيال والمستندة إلى كتاب الله سبحانه وتعالى. حيث إن الثقافة من وجهة نظر علماء الاجتماع هي كل ما يتم تداوله وإنتاجه في المجتمع، من أفكار وأدوات أو أشياء، ولعل الفن في مختلف صنوفه أحد أهم هذه المسارات سواء في التعبير أو الإنتاج كما يقول قائد الثورة العظيمة (بالتصوير بالفن بالرسم وهذه الحاجات التشكيلية كلها التي نتحدث عنها والتي تتعلمونها... لذا يمكن تصوير آمال الجماهير وتصوير المستقبل... يعني إذ رسمت لك صورة مشرقة للغد يعني أني بعثت فيك روح الحماس لتحقيق هذه الصورة لكي لا يمكن أن تغيب عني صورة الغد وتحرضني لكي نتحمس من أجل تحقيقه لأنه فرصة غائبة)[2].

إذ إن الثقافة الإسلامية صنف من الثقافات الإنسانية السائدة ترتكز على عناصر أساسية تميزها عن غيرها من الثقافات لأنها تواجه الآن تحديات وصعوبات تعترض خط سيرها وتطويرها تحت مسميات العولمة المختلفة، كذلك تعرف الثقافة الإسلامية بأنها (مجمل الكسب الإنساني المنفعل بالتنزيل في تفاعله مع الكون الطبيعي أو الاجتماعي في زمان ومكان معين)[3] وتبعاً لذلك يضيف الدكتور محمود عليمات (فإن العنصر

---

(1) عزمي السيد وآخرون، الثقافة الإسلامية «مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها»، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.

(2) السجل القومي، المجلد السنوي السادس عشر، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي، 1984 ـ 1985م، المركز العالمي لأبحاث الكتاب الأخضر.

(3) د. محمود عليمات ـ الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة، بحث مقدم الى ملتقى عمان الثقافي التاسع سنة 2000، ص1.

الثابت هو التنزيل (المصادر المقدسة) والمتغير هو عملية التفاعل الإنسانية مع وجوده الطبيعي والاجتماعي استرشاداً بمصادر الإسلام في العقائد والقيم والأخلاق والمعاملات... أي يوجد تنوع لتجديد ثقافي إسلامي يتنوع ويتغير تبعاً للظروف التي يعيش فيها الإنسان).

وهذه السمة من سمات التجدد في الفكر الإسلامي الذي تجاوز من خلالها محدودية المكان والزمان وأصبح قادراً على استحداث أنماط ثقافية تحافظ على هويته وخصوصيته في مواجهة المتغيرات المحيطة عالمياً ومحلياً، كما أن ثقافة الإسلام ثقافة تجديدية والتجدد هنا من مميزات السلامة التي ينبغي أن تتجدد باستمرار كما يهدف إلى حماية هذه الثقافة والحفاظ على قيمها وتعاليمها ونشأة الجيل الجديد وفقاً لمعطياتها وبأساليب حديثة تتماشى وبقدرة عالية مع مواكبة ما يحصل من برنامج معاكس لها، مدروس ومقصود تقصد به الطرح العالمي الجديد والهادف إلى ذوبان الشخصية ومحو معالمها ضمن الشخصية العالمية وفق النموذج الغربي الذي يبتعد عن مجتمعنا جملة وتفصيلاً على اعتبار (أن انعكاس الثقافة على الأفراد وتحليهم بها وتمثيلهم قيمها ومعاييرها هي ما نسميه الشخصية)[1].

ولنا في مجتمعنا الإسلامي قوانين خاصة في بناء الشخصية حيث تمثل العقيدة الدينية علاقة الإنسان بالخالق وهو الأمر الذي يتطلب الرجوع إلى المصادر الموثوقة في بيان كيفية هذه العلاقة غير أن ما يحصل في بعض الأحيان من متغيرات اجتماعية واقتصادية متسارعة وما يخطط له قصداً، هو فك وتخريب هذه العلاقة.

(1) د. محمود عليمات، المصدر السابق، ص2.

العولمة وأثرها في المتلقي العربي المسلم:

إن ما ينتشر في مجتمعاتنا من قيم مضادة عبر وسائل الاتصال العالمية التي عادة ما تسمى الفن والثقافة وما يحمله من أنماط سلوكية وقيم مختلفة عما هو مشروع تصاحب مظاهر العولمة وهو من أهم المخاطر التي تواجه الأمة ومشروعها الأخلاقي والثقافي (مما يزيد من القلق الذي يدخل بيوتنا دون استئذان والذي يحمل في طياته معاول الهدم والتخريب ومظاهر التفكك والغربة والانسلاخ عن القيم والمثل)[1].

حيث تؤثر في المتلقي بطريقه سلبية لكي تغذيه بأفكار معدَّة مسبقاً بقصدية وضمن برمجة معينة تعمل على بلورة أفكارهم وهو ما تسعى إليه آليات العولمة التي رغم ملامحها الظاهرة تخبئ بين جوانبها ملامح ذات صلة وثيقة بالشأن الثقافي والقيمي والاجتماعي، حيث يذكر الأستاذ احمد بن سعود الدغيشي (أن العولمة قد ركزت اهتمامها بتضليل العقل البشري بأن كل موروث هو ضرب من التخلف وأن التمسك به يعد من عوائق التقدم ومواكبة ركب الحضارة وهم بهذا السبيل يهدفون إلى محاربة القيم والمبادئ الروحية التي جاءت بها الشرائع السماوية)[2].

وبهذا جاءت العولمة لتمحو كل قوة في شخصية الإنسان المسلم المسلح بقوة الإيمان. ولعل أبرز المواضيع موضوع التجانس الذي (يهدف إلى إبراز مفاهيم وقيم ومواقف وسلوكيات إنسانية مشتركة)[3].

(1) د. محمد القضاة، الثقافة والتغيير ـ بحث مقدم إلى ملتقى عمان الثقافي التاسع. الاردن. الجامعة الأردنية سنة 2000، ص 6.

(2) أحمد بن سعود الدغيشي ـ العولمة وانعكاساتها على المجتمع المسلم. الطبعة الأولى. مكتبة الضامري للنشر والتوزيع / سلطنة عمان.

(3) د. عبد الله عبد الخالق. العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، عالم الفكر. المجلد 28، العدد2 ـ أكتوبر. الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون، ص 10.

ويرى المزروعي في الشأن ذاته (أن التجانس في جوهره هيمنة ثقافة الغرب الرأسمالي بكافة عناصرها وبالتالي فهو عملية إحلال ثقافي لمصلحة قيم وثقافة العولمة)[1].

وبالتالي تهميش وضياع الهوية التي هي انعكاس ثقافة المجتمع على شخصيات الأفراد. والهوية كما يرها الدوري (هي ما يخص الذات وغيرها ويرى أن دور الإسلام كان محورياً في تكوين الأمة...)[2]. مقابل ذلك كانت قيم الإسلام وسلوكياته ولغته محاور تتعرض لهجوم شديد ودائم من قبل قوى العولمة.

وقد حذر البعض من نتائج ذلك بقول بعض الباحثين في هذا المجال:

(إذا سمح المسلمون لغيرهم بتشكيل قيمهم وهويتهم فإنهم سينتهون من الفعل لمصلحتهم الخاصة،فإذا اختل تكوين الهوية (الذات) اختل تركيب القيم) كما دعا آخرون إلى أن (يستحيي المسلمون وهم يواجهون العولمة أخلاق الإسلام)[3]. في تنمية القيم الاجتماعية وسلوكيات الفرد بما يحقق رصانة الأخلاق والنهوض بالمجتمعات وفق قوانين الإسلام السامية. حيث يتحدث البعض عن أنه (في الاغترار بالمظاهر البراقة وعندها يفقد الإنسان المسلم أهم شيء في الحياة وهو تعلقه بالدار الآخرة، والذي يزرع في نفسه الحرص على فعل الخيرات وترك المنكرات، ويبقى هذا الإنسان في ظل الثقافة المادية عبداً لشهواته شأنه شأن الحيوان بل أقل)[4].

---

(1) د. محمود عليمات، مصدر سابق، ص 10.

(2) عبد العزيز الدوري ـ الهوية الثقافية العربية والتحديات. المستقبل العربي. العدد 248، تشرين الأول. بيروت. مركز دراسات الوحدة، سنة 1999.

(3) الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة. مصدر سابق، ص14.

(4) أحمد بن سعود الدغيشي ـ العولمة وانعكاساتها على المجتمع المسلم. مصدر سابق ص81.

لقوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

صدق الله العظيم[1]

ونتاج ذلك كله هو إنتاج شخصيات متناقضة هزيلة وضعيفة وهو ما نتعرض له الآن في الوقت الحاضر.

ومن ذلك تسأل الباحثة بصفتها هاوية لجمال الفن، وتحاول جاهدة أن تبحث بماهية السبل الكفيلة بمنع مثل هذا التدهور، وما الذي تعمل جاهدة لإنجازه من أعمال فنية عظيمة ومضمون أعظم لتكتمل فيها مقومات اللوحة الإسلامية العظيمة التي كان من المفترض إنجازها منذ آلاف السنين وكما يقول قائد الثورة العظيمة في كلامة الموجه للفنانين:

(يجب أن نستعين بكم في توضيح هذه الأمور أفضل من الاستعانة بكاتب).

باعتبار أن الصورة هي رمز الحضارة التي حملت همومها وعكست نجاحها وشكلت تكوينها كذلك هي الوسيلة للتعبير المتعارف عليه عالمياً حيث إن الصورة هي الخبرة العائدة إلى إحساسنا كما يرى (روغنسكي) بأنها تحتجز في مضمونها أو غايتها المعرفية المتعلقة بإقناعنا بالمدى التطبيقي مع ما تريده.

وما زالت الصورة تمثل انفتاحاً على التغيرات لكل عصر من العصور باعتبار أن الصورة ثقافة ولغة عالمية كما يرى قائد الثورة حيث يقول عن قوة الصورة (بأن الإنسان يتأثر بالصورة أكثر مما يتأثر بمقال كاتبه أحياناً

---

(1) سورة الفرقان الآية: 44.

يجيد وأحياناً لا يجيد)[1].

وهنا تلاحظ الباحثة إمكانية الاستفادة من هذه الخاصية في نشر تعاليم الإسلام وقيمه عالمياً ـ حيث يؤكد الباحثون بأنه كلما تصاعدت سلطة الصورة فقدت اللغة أحد أهم أدوارها الرئيسية في حين يذهب البعض إلى أن (التطور النظري لبنية القراءة لا يمكن إخفاءه نهائياً ونحن ننظر إلى الصورة والكلمة. فقد أتقنت البشرية صياغة الصوت الموافق للمعنى وسيكون أمراً عظيماً أن تستطيع الصورة إلغاء الإرث الإنساني رغم ما يشكله هذا التطور من فزع ورهبة لدى الأجيال القادمة).

حيث إن الصورة باعتبارها ناقلاً معنياً ومفسراً للاحداث ـ كبيراً جداً، خصوصاً في ما يتعلق بقصدية البث الفضائي، وهو أمر واضح لأهمية الصورة في تشكيل وعي الجيل الجديد من خلال نقل تعاليم الإسلام وترسيخ القيم ولا شك فإن (ضبط إيقاع التفاعل والحوار ما بين الفن والجمهور، ارتبط بتبدل عميق للمعارف التقنية والنظرية والدينية والاجتماعية... وهذا ما يجره النقد وتاريخ الفن من أطر لتكوين الصورة الذهنية لدى الشعوب... كخلفية فكرية، نظرية أيديولوجية دينية وعلمانية ـ للصورة الفنية البصرية)[2].

ولم تغفل الدراسات النقدية الحديثة عن أهمية العلاقة البصرية وتأثيرها في المتلقي حيث أشار سوسير إلى أن (العلاقة البصرية توفر إمكانية قيام مجموعات معرفية على أبعاد عدة في ان واحد)[3].

ولأن الصورة تتجه نحو البصر وهو أكثر حواسنا واقعاً وهي دائماً في

(1) السجل القومي ـ المجلد السادس عشر. مصدر سابق، ص 26.

(2) زينات البيطار: غواية الصورة. النقد والفن ـ تحولات القيم والأساليب: الدار البيضاء ـ المركز الثقافي العربي، 1999، ص 8.

(3) عواد علي: شفرات الجسد. الأردن، دار أزمنة للنشر والتوزيع، 1996، ص36.

(الحاضر أي أنها تتقدم في الحاضر تصورنا وتسجل في الحاضر وعينا)[1] كما أنها تحمل دورها الدال على الشيء لا بطريقة تصورية مباشرة فحسب بل بطريقة رمزية أيضاً وهو الأمر الذي يتيح للفنان التشكيلي إمكانية التعبير عن منجزاته بالقدر الذي يحقق نوعاً من التوازن الفكري والاجتماعي والأخلاقي في ما هو معبر عنه.

ومن ذلك كله فإن الصورة هي قوة اجتماعية وثقافية قادرة على إحداث تغيرات مهمة كما يقول قائد الثورة (إن الصورة هي خطوة أخرى متقدمة للاقتناع بها وتقريبها إلينا فتحدث ثورة حقيقية).

وبذلك سعت الباحثة إلى إبراز دور التصوير للأغراض المذكورة، والرفع من الروح المعنوية التي تسعي الباحثة جاهدة إلى تطبيقها على أرض الواقع ولما لمسته في بحثها هذا من تشجيع ودعم قوي مؤكد بكلام قائد الثورة (يجب أن تسخر الإمكانات الفنية والإبداعية لنجاح عملية التحريض لرفع الروح المعنوية حتى ننجح في المعركة).

(1) مارسيل مارتن: اللغة السينمائية. ترجمة سعد مكاوي: القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964، ص20.

المراجع

1 ـ السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي. المجلد السنوي السادس عشر، 1984 ـ 1985م. المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.

2 ـ هادي شابيرد، نظرات في الثقافة، ترجمة. محمد علي العريان، القاهرة دار إحياء الكتب العربية، 1961.

3 ـ وقائع المؤتمر الثقافي الوطني الثالث، الجامعة الأردنية ـ عمان، 1986.

4 ـ العولمة وانعكاساتها على المجتمع المسلم، تأليف أحمد بن مسعود الدغيشي ـ الطبعة الأولى، 2003، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.

5 ـ عزمي السيد وآخرون، الثقافة الإسلامية «مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها»، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.

6 ـ سعد الدين إبراهيم: اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة: دراسة ميدانية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1980م.

7 ـ محمود عليمات، الثقافة الإسلامية وتحدي العولمة، بحث مقدم إلى ملتقى عمان الثقافي التاسع، سنة 2000.

8 ـ محمد أحمد القضاة، الثقافة والتغيير. بحث مقدم إلى ملتقى عمان الثقافي التاسع، الأردن، الجامعة الأردنية، سنة 2000.

9 ـ عبد الله عبد الخالق، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل

معها، عالم الفكر، المجلد 28،العدد 2 أكتوبر، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

10 ـ عبد العزيز الدوري، الهوية الثقافية العربية والتحديات، المستقبل العربي، العدد 248، تشرين الأول/ اكتوبر، بيروت، مركز دراسات الوحدة، سنة 1999

11 ـ زينات البيطار، غواية الصورة:النقد والفن ـ تحولات القيم والأساليب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1999.

12 ـ مارسيل مارتن، اللغة السينمائية، ترجمة سعد مكاوي: القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.

الفن في فكر معمر القذافي

هيام ميلاد زريبة

المقدمة

يعد الفن والتصوير تحديداً الواجهة الحضارية لأي مجتمع من المجتمعات، فهو مقياس مدى تقدمه وازدهاره.

فهو يمدنا بلمحة قيمة عن مجمل نواحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية لكل عصر من العصور، وهو ما يؤكده ديوي في تعريفه الخبرة الجمالية بأنها «مظهر لحياة كل حضارة، وسجل لها، ولسان ناطق يخلد ذكراها، ويحفظ أمجادها»[1].

والفنان سواء كان معبراً عن روح الجماعة أو عن ذاته وآلامه وأحلامه، هو ابن زمنه وتقلباته التي تظهر في إبداعه.

والحق أننا لو أمعنا النظر في رؤية المفكر معمر القذافي للفن لوجدنا أن الفن لديه لغة. وتعبيراً عن أحاسيس وتطلعات وأماني وأحلام الجماعات البشرية.

ولا غرو فإن معمر القذافي نادى بفن جماهيري تقدمي يجسد قيم

---

(1) زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مجموعة مصنفات، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1959ف، ص 169.

الثورة وقادر على أن يكون محرضاً، وملتزماً ومسؤولاً، ورافضاً لكل أوجه الظلم والاستبداد.

وبضرورة إبراز التراث انطلاقاً من مقولة «إن الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها»[1]، والتأكيد على جعل الفن دعامة من دعائم البناء في المجتمع الجماهيري وقوة أساسية من قواه الإبداعية.

وهكذا فالمفكر معمر القذافي كان دوماً في فكره حليفاً للحرية، والأصالة، والرغبة في التجديد.

وعليه فلقد استرعى انتباه الباحثة، قضية «الفن في فكر معمر القذافي» مما دفعها لضرورة البحث في هذه القضية، في محاولة منها للوصول إلى تشخيص دقيق لمعرفة جوانبها.

مشكلة البحث:

لقد تعددت الدراسات التي تناولت فكر معمر القذافي في جوانب الحياة المتعددة في السياسة وفي الاقتصاد وفي الاجتماع وفي التاريخ.

ولأهمية الفنون في فكر معمر القذافي، ارتأت الباحثة التعريف بها للوقوف على ماهية «الفن في رؤية معمر القذافي» طارحة السؤال الآتي:

س: ما هي رؤية المفكر معمر القذافي للفن؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

تكمن أهمية البحث في الإجابة عن السؤال الوارد في المشكلة، والنهوض من جهة بالفن وفلسفته من خلال تسليط الضوء على فكر يخدم

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، الطبعة 26، 1999ف، ص 191.

قضايا الجماهير، ويسهم في نصرتها ورقيها بين شعوب العالم.

وأيضاً لإثراء المكتبة، فهذا البحث يكتسب أهمية خاصة حيث إنه يتناول قضية الفن في رؤية المفكر معمر القذافي، وهو موضوع لم يحظ من قبل في الجماهيرية العظمى بما يستحقه من البحث والدراسة.

هدف البحث:

1 ـ التعريف بفكر معمر القذافي في الفنون عامة والرسم والتصوير خاصة.

حدود البحث:

يتحدد نطاق هذا البحث:

بفكر المفكر معمر القذافي في الفنون «تحديداً الرسم والتصوير» من سنة 1969 إلى سنة 2003.

منهج البحث:

تعتمد الباحثة هنا المنهج الوصفي «التحليلي» لاستنباط مفهوم الفن ومضامينه في فكر معمر القذافي وعليه فإن الباحثة تستخدم أسلوب تحليل المضمون لقراءة إسهامات معمر القذافي في هذا المجال.

الإطار النظري:

سيتضمن الإطار النظري مقدمة عن معمر القذافي بوصفه مبدع النظرية وقائد الثورة، يتناول أهم مؤلفاته التي أصدرها، ثم إبراز رؤيته للفن والصورة الفنية تحديداً، لغة الفن، الفن الجماهيري، دور الفنان ومكانته في المجتمع. وذلك من خلال كتابات ومحاضرات وأحاديث المفكر معمر القذافي، ويتضمن محتوى المادة مقارنة ما بين فكر معمر القذافي في الفن وآراء بعض المفكرين.

الدراسات السابقة:

على حد علم الباحثة، لا توجد دراسات مباشرة سابقة في موضوع الفن في فكر معمر القذافي.

لمحة موجزة عن سيرته الذاتية
القائد المفكر معمر القذافي:

سياسي ومفكر وأديب ذو ذكاء حاد، صاحب رؤى سياسية بعيدة المدى، له ولع بالحرية فوق إمكان التصور، وتعد أبرز سمات أدبه وفكره.

المولد والنشأة:

ولد معمر القذافي في ليبيا بمدينة سرت عام 1942 لأسرة بدوية فقيرة مؤلفة من والده أبو منيار القذافي وأمه عائشة[1]، فكان رابع شقيقاته الثلاث.

وتلقى تعليمه الأول وهو في الثامنة من عمره في بلدته سرت، وأظهر تميزاً عن أقرانه فكان يحفظ القرآن الكريم بسرعة فائقة، وكان محباً للقراءة والكتابة فكان يثير بأسئلته دهشة الشيخ الذي كان يدرسه.

أنهى دراسته الابتدائية وهو في الرابعة عشرة من عمره ودرس ما بين 1956 ـ 1961ف في سبها على إثر توجه عائلته إلى فزان. دخل المدرسة الإعدادية وأثناء دراسته كان مع بعض زملائه يشكلون نواة لحركة ثورية كان لها شأن في ما بعد.

رغم تفوق القذافي في دراسته فإنه تعرض للطرد من المدرسة نظراً

(1) أوراسيو كالديرون، القذافي نقطة الانطلاق، ترجمة: د. أنور حسن طربي. بيونس آيرس. الأرجنتين، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، 1986ف، ص 16.

لنشاطاته السياسية، ومنذ الصغر تأثر بشخصية الزعيم المصري جمال عبد الناصر.

ثم ذهب إلى مصراتة ليكمل دراسته الثانوية خلال 1961 إلى 1963 ف بعد ذلك أكمل دراسته الأكاديمية العسكرية ببنغازي حيث دخلها عام 1963ف وتخرج منها في عام 1965ف وهو يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، أرسل على أثرها في بعثة للتدريب العسكري ببريطانيا عام 1965ف).

فجر الثورة:

كوّن معمر القذافي مجموعة من الضباط الوحدويين الأحرار عام 1985م وقاد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة التي أنهت الحكم الملكي في ليبيا.

وعندما بلغ القذافي 27 عاماً وفي الأول من سبتمبر / الفاتح 1969ف أطاح مع مجموعة الضباط الوحدويين الأحرار بالملك إدريس السنوسي وأعلنوا الجمهورية في ليبيا[1].

الاتجاهات الفكرية:

ألف المفكر الليبي أهم إصداراته عام 1976ف تمثل في كتاب ضمنه معظم أفكاره السياسية أطلق عليه «الكتاب الأخضر»، ويعرض فيه لما يسمى النظرية العالمية الثالثة التي تطرح بديلاً عن الماركسية والرأسمالية وتستند إلى حكم الجماهير الشعبية المباشر. أصدر مؤلفات أدبية أخرى من ضمنها «القرية القرية، الأرض الأرض، وانتحار رائد الفضاء» مع قصص أخرى.

ويؤكد الكثير أن القذافي الزعيم المعاصر الوحيد الذي يزاول الكتابة من موقع النضج الواعي بالغاية.

(1) أوراسيو كالديرون، القذافي نقطة الانطلاق، مصدر سابق ذكره، ص 16 ـ 24.

لغة الفن:

لو أمعنا النظر في رؤية المفكر معمر القذافي للفن لوجدنا أن الفن لديه هو «لغة... هو تعبير عن ترح... أو عن فرح... عن تطلعات... عن أمان... عن أحلام، وهو تعبير عن حقيقة الجماعة البشرية التي يعبر الفنانون عنها بأساليبهم المختلفة»[1].

بمعنى أن الفن لديه هو لغة الشعور أو الانفعال Emotion والتعبير الصادق عن مكنونات النفس البشرية، واللغة المكملة للغة العلم، التي تخصصت في معطيات العقل التي تناسب لغة الوجدان، الذي ابتدع لغة خاصة هي الفن بكل فروعه. فالفن لغة لها نظير معروف في الصراخ والإيماء، فالتعبير عن الألم أو الوجع والسرور فطري في الإنسان، وكذلك في الحيوان، ولكن الإنسان لديه القدرة على تنويعه وتحويره والارتقاء به بخلاف الحيوان، فإذا كان ما يميز الإنسان عن الحيوان هو امتلاك اللغة فإن ما يميز الإنسان (الفنان الخلاق) هو امتلاك اللغة المرئية، وتلك الحساسية الجمالية التي تمكّن من خلق الأعمال الفنية.

ولقد قورن بين الفن واللغة دائماً، ففي كل الأحوال غالباً ما قام الفن بدور اللغة...، والواقع أن الرسم واللغة في الأصل هما نظامان إشاريان يتفرعان من ساق واحدة والحاجة للتخاطب هي التي أوجدتهما «فمنذ نشأة الإنسان ومفهوم التعبير اللغوي (المصطلح اللغوي) يتصارع بين مفهوم الشكل الثابت في الطبيعة وبين مفهوم التعبير المجازي، وقديماً كانت التعبيرات هي مصطلحات تشكيلية يعبر بها الإنسان عن رغباته واحتياجاته الملحة التي ترتبط بسابقة المعرفة الاحتياجية التي تحولت إلى مصطلح

---

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثلاثون (ب) 1998 ـ 1999ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، ص 1114.

تعبيري يرتبط بالرموز التشكيلية... ولذلك كانت اللغات القديمة أقرب للتشكيل الفني منها إلى اللغة المعترف بها»[1]. ويعتقد الباحث أن نظام اللغة (الكتابة) قد نشأ وتطور في رحم نظام الرسم منذ الكتابة الصورية ـ الهيروغليفية، المسمارية، الكلدانية...الخ ـ إلى الكتابة الرمزية الحالية. والحق أن هناك الكثير من الدراسات والأبحاث التي تناولت هذا الموضوع، وقد تناوله عبد القادر الجرجاني منذ عصور سالفة في كتابه (دلائل الإعجاز) فبين لنا أن بنية الصورة تشبه إلى حد كبير بنية اللغة، من حيث إن الألوان هي وحدات في بناء الصورة تساوي الألفاظ أو الأصوات التي يُنظم منها الكلام في اللغة، وكما أن للألوان درجات فإن للأصوات درجات، والتجاور في اللغة يكون خطياً أما في الرسم فيكون مساحياً.

إلاَّ أن الجرجاني يعي ويستدرك الفارق بين نظام الرسم ونظام اللغة، لأن لكل منهما خصوصية يفرضها نوع الوسيط.

لذا اعتمد كثير من المفكرين والفلاسفة على تعريف الفن بوصفه لغة إنسانية تنبع من داخل النفس البشرية وترتبط أشد الارتباط بالمشاعر والأحاسيس، والحق أن عظمة الفن تكمن في كونه لغة تترجم الكثير مما يعجز اللسان عن البوح به، وتوقظ في النفس سائر المشاعر والرغبات والطموحات الغافية فينا.. فاللوحة رسالة مفتوحة من الفنان يقرأها الجميع، وتختلف القراءة بتباين الرؤى.

والواقع أن اللغة اللفظية من حيث هي وسيلة لتبادل الأفكار والمعلومات تعد قاصرة نوعاً ما عن التعبير عما نريد.

فكم من جدل نشأ بسبب عدم الإجادة في نقل المعلومات في شكل صحيح ومن منا لم يشعر بالإحباط لمحاولته التعبير عن محبته لشخص ما،

(1) صالح رضا، ملامح وقضايا الفن التشكيلي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990، ص 57.

أو وصف أريج زهرة ما ثم إن عدم القدرة على التعبير عن الشيء المقصود كثيراً ما يعزى إلى عجز اللغة نفسها عن نقل المعلومات المنشودة[1].

وبطبيعة الحال فإن المفكر معمر القذافي يعي ويدرك هذا الأمر فيوضح لنا أن القوة التعبيرية «للصورة Image» تعد أبلغ وأكثر تأثيراً من الكتابة في حد ذاتها، ومؤكداً ذلك بقوله: إن «الإنسان يتأثر بالصورة أكثر مما يتأثر بمقال كاتبه أحياناً يجيد وأحياناً لا يجيد»[2] وهو ما تؤكد عليه سوزان لانجر بقولها «إن الطبيعة الحقيقية للوجدان البشري إنما هي أمر هيهات للغة ـ من حيث هي رمزية لفظية ـ أن تنهض بالتعبير عنه»[3].

لذا كان الفن وسيلة ضرورية للتواصل البشري لأجل الحياة والتقدم نحو خير الإنسان والإنسانية.

والواقع أن اللغة هي أداة الإنسان في تحقيق العلانية وإثبات الوجود، وإظهار المخفي ـ بمعنى: تكلم لكي أراك ـ فمثلما يعبر الإنسان عن نفسه عندما يتكلم، فإن العمل الفني الجميل يعبر عن نفسه عند ظهوره، ففن المعمار مثلاً، يعبر عن البناء الاجتماعي في عصر ما، وعن نظرات الناس وأحاسيسهم ومشاعرهم، وسماتهم الشخصية؟ ـ فيعبر مثلاً عن البساطة، الطموح، الانتصار، العظمة، الوضوح، القساوة، الصرامة، النبل.

---

(1) ناثان نوبلر، حوار الرؤية، مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية، ترجمة: فخري خليل، مراجعة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، 1992، ص 95.

(2) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي السادس عشر، 1984 ـ 1985ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة الثانية، ص 794.

(3) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة ـ مصر، 1966، ص 264 ـ 265.

والواقع أن فن شعب ما يكشف بوضوح عن لغة هذا الشعب في التعبير عن عالمه، ولأن الفن لغة، فإنه يكون قادراً على توصيل طابع إنساني أو باعتباره رسالة موجهة للإنسان في كل زمان ومكان، والفن بهذا يكون لغة أو أسلوباً في التعبير عن عالم إنساني في شكل ما من أشكال تجلياته في لمحة من لمحات حياته.

والمتمعن في تعريف القذافي للفن يلاحظ أنه جعل من الفن والعمل الفني «تعبيراً عن الحقيقة» أي تعبيراً عن المعاني الحقيقية للوجود البشري، وهو بذلك ينسب قيمة «الحقيقة» للعمل الفني، من خلال إحالة الوجدان إلى حقيقة موضوعية.. ومفهوم «الحقيقة» لا يعني مجرد مطابقة الصورة للواقع، فليس الفن مجرد محاكاة وصدى للواقع القائم، بل هو تمرد عليه وتجاوز له.

والفنان الحقيقي هو الذي يعبر بصدق عن حقيقة الإنسان في كل زمان ومكان، فالقاسم المشترك لعظمة الفنانين هو التعبير الصادق عن حقيقة العالم الخارجي، وهو ما يؤكده القذافي مخاطباً: «أنتم الأدباء والفنانين الذين تستطيعون إن تقولوا» إن الملك عريان «وهم يقولون إنه يلبس ثوباً طويلاً ونحن الذين نستطيع أن نقول: لا، هذا عريان وأن هذا أسود وهذا أبيض، وطمس هذه الأشياء من جانبكم هو خسارة للأدب والفن»[1] وقد لاحظ كثير من الفلاسفة والمفكرين ـ مثل شوبنهاور وهيدجر ـ هذا المعنى أو الدلالة المميزة للفن، وللتوضيح نأخذ مثالاً على ذلك ـ «لوحة حذاء الفلاح لفان غوخ VanCogh» لنرى ما الذي جعل من هذه اللوحة عملاً فنياً؟ إذا نظرنا إلى العمل وجدنا أن فان غوخ صور لنا حذاءً

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثالث والعشرون، 1991 ـ 1992ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، ص 152.

ضخماً، لا يحيط به أي شيء، ولا يبدو خلفه أي طريق أو ما شابه ذلك، ولكننا مع ذلك لو أمعنا النظر إلى هذا الحذاء لاستطعنا أن نلمح آثار الإعياء مرسومة عليه.. ولو أننا تمعنا في ثقل هذا الحذاء وصلابته، لأمكننا الجزم بأنه حذاء فلاح شق طريقه كل يوم عبر الحقول، بخطى نشيطة أكيدة، وأما نعل الحذاء فإنه يحمل آثار التربة الدسمة الرطبة وكأنما هو يشير إلى ذلك الطريق الموحش الذي يضرب فيه الفلاح مساء كل يوم عند عودته إلى بيته.

فالفنان هنا أراد من خلال تصويره هذا الحذاء، أن يعبر من خلال هذه الصورة على معاناة هذا الإنسان البسيط وقلقه في بحثه عن الطعام، وراحته في انتصاره على حاجته. ويعلق هيدجر قائلاً: «إن لوحة فان غوخ ليست» عملاً فنياً «إلاّ لأنها قد كشفت لنا على وجه التحديد عن «حقيقة» الحذاء الذي اعتدنا أن نستخدمه دون أن نقف على صميم كينونته» ونعود فنقول: إن عبقرية الفنان لا تتلخص في أن ينقل الواقع بأمانة، وإنما عبقريته تتمثل في أن يعبر عن الواقع بصدق وعمق «فليس الفنان من العالم بمثابة الناسخ أو الناقل، بل هو منه بمثابة المنافس أو الخصم المناضل».

والفنان يعرف أثناء تصويره امرأة ما، أنها ليست مجرد شكل ينقله على قماش اللوحة، وكأنما هي مجرد مجموعة من الملامح والحركات والسكنات، وإنما هي أولاً وقبل كل شيء «تعبير فردي عاطفي، جنسي» ولا غرو فإننا نتذكر الوجه الذي نعرفه لا بملامحه وقسماته وإنما بتعبيره ومعناه»[1].

والحق أن رؤية المفكر معمر القذافي للفن بوصفه «لغة» أو «تعبيراً» وبوصفه أداة اتصال بين الناس لتبادل الأفكار والأحاسيس، وقناة للتبادل الفكري الهام، وهو بذلك يكون قد أعرض على تعريفات وتفسيرات

(1) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مرجع سابق، ص 26 ـ 37.

الفلاسفة للفن من حيث هو «متعة» و«لعب» و«لهو» و«فائض الطاقة» رافضاً بذلك مصدر اللذة ومحدداً وظيفته في نقل العواطف والانفعالات.

وصحيح أن القذافي الذي يتجاوز بفكره نظرية التعبير إلى الممارسة لا يعرف «الفن» على أساس التوصيل إلا أنه مع ذلك يرى أن الأعمال التعبيرية تؤدي في واقع الأمر، إلى توصيل إحساس وانفعال معين إلى الجماهير، وهو لا يتحقق إلا بتوافر شرط معين للفنان، وهو شرط الصدق في العمل الفني الذي لا يكون إلا من خلال أن يأتي بفنه من الجماهير نفسها التي هي منه بمثابة جزء متكامل لا ينفصل عنه وليس الصدق في الفن سوى إخلاص ووفاء الفنان لرسالته، فإخلاص الفنان أمر له أهمية عظمى في أي نظرية تعبيرية أو انفعالية، فحين يعد الفن سجلاً لانفعال، عندئذ يشترط في الفنان أن يشعر بإخلاص بما يضمنه للعمل. فالعمل الفني يكون ثميناً بالنسبة للمجتمع الجماهيري، ويكتسب قيمة جمالية وفنية، عندما تتماشى المشاعر، والأحاسيس المعبر عنها فقط مع انفعالات الجماهير، وخلجاتهم، ومعاناتهم، وأمزجتهم، ونفسيتهم، فتجد عندها الصدى، وتثير الانفعالات المقابلة.

فالفن المفتقر إلى الصدق والإخلاص هو فن «سطحي» و«مزيف» لأنه لا يعبر عن حقيقة الجماهير، ومن هنا نرى أن المفكر معمر القذافي قد تحدث عن أهم صفة للفن وأنفسها وهي «الصدق» فقال «إن الفن الثوري هو نقيض للديماغوجية من حيث إنها إثارة، وتزييف يقصد من ورائها استغفال الجماهير»[1].

ولقد تغلغلت فكرة «الصدق» شأنها شأن الكثير من العناصر الأخرى

(1) شروح الكتاب الأخضر، المجلد الأول، قيمة الإنسان، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة السادسة، 1999ف، ص 180.

للنظرية الانفعالية في التفكير والحديث الشائع عن الفن. ويبدو أن لذلك أسباباً معقولة.

فنحن أنفسنا نتأثر وننفعل حين نقتنع بأن الفنان يخاطبنا من قلبه، فإخلاصه وصدقه يضفيان قدراً كبيراً من الروحانية والحماسة على عمله. أما حين نعتقد بأنه يزيف ويتظاهر فإننا نتباعد عنه بنفس القدر. وبالمثل فحين نعتقد بأن الفنان يحاول إثارة انفعالات لم يمارسها هو ذاته، أو يتلاعب بها فإننا نشعر «بالسطحية» في إنتاجه، و«بالنفور» أيضاً.

وعلى وجه العموم، فإن الأعمال التي يخلقها فنان غير صادق ومخلص كثيراً ما تكون مفتقرة إلى الحرارة والإقناع، اللذين يضفيهما انفعال الفنان على العمل، وعلى هذا الأساس يكون مطلب «الصدق» أو «الحقيقة» فكرة ذات أهمية وقدرة توضيحية كبيرة.

ولدى قراءة (الكتاب الأخضر) لمعمر القذافي، قراءة متمعنة يلاحظ المرء في الجانب الاجتماعي، للنظرية العالمية الثالثة وأثناء طرحه لموضوع «الألحان والفنون» إدراكاً عميقاً بأهمية دور الفن كركن من أركان الحضارة الإنسانية التي لا تلتمس إلا بما خلفه الإنسان على مر العصور من آثار فنية. فالفن أقدم وأقدر لغة عبرت عن وحدة «الحضارة الإنسانية» باعتبار أنها تمتلك القوة القادرة على توحيد المشاعر وإثارة الأحاسيس لملايين البشر فيما قد تعجز أي قوة نوعية أخرى على تحقيقه. فالفن مشروع محبة وسلام للعالم كافة، وهو لغة إنسانية راقية تسهم في التعبير عما لا سبيل إلى الإفصاح عنه بلغة الألفاظ العادية وهو دلالة العصر على المستوى الذهني والأخلاقي للشعوب «إن الإنسان لا يزال متأخراً ما دام عاجزاً عن التعبير بلغة واحدة.. وإلى أن يحقق الإنسان تلك الأمنية الإنسانية ـ التي تبدو مستحيلة ـ سيبقى التعبير عن الفرح والحزن وعن الخير والشر، وعن الجمال والقبح، وعن الراحة والشقاء، والفناء والخلود، وعن الحب والبغض... وعن الألوان والأحاسيس والأذواق والمزاج ـ سيبقى التعبير عن

كل هذه الأشياء بنفس اللغة التي يتكلم بها كل شعب تلقائياً"[1]. ويستطرد قائلاً: «إن البشرية ما زالت حقاً متأخرة ما دام الإنسان لا يتكلم مع أخيه الإنسان لغة واحدة موروثة وليست متعلمة.. ومع هذا فإن بلوغ البشرية تلك الغاية يبقى مسألة وقت ما لم تنتكس الحضارة».

تؤكد النظرية الجماهيرية على أن الإنسان سيظل متخلفاً ما لم يصل إلى أن يعبر بلغة واحدة موروثة وليست متعلمة مؤكدة على أن التواصل بين أشخاص ذوي خلفيات مختلفة كلياً يمكن أن يحصل على مستوى أولي فقط ـ من خلال الإحساس المشترك بالعالم المحيط بهم ـ بحكم انفصالهم بحواجز اللغة والعادات والتقاليد وغياب وجهات النظر المشتركة.

ومع هذا فإن بلوغ البشرية هذه الغاية ترتبط بعوامل كثيرة، وهي في حاجة إلى زمن طويل تتطور فيه مجمل الحضارات الإنسانية ويتقارب بعضها من البعض عن طريق الانتشار الثقافي الذي يبدأ بانتشار الفنون باعتبار أن لها من الإمكانية ما يجعلها قادرة على مخاطبة الجماهير وإثارة انفعالاتها وأحاسيسها.

ويتحدث المفكر معمر القذافي في (الكتاب الأخضر) عن أثر عامل الوراثة في الفنون قائلاً: «إذا كانت جماعة من الناس تلبس اللون الأبيض في حالة الحزن، وجماعة أخرى تلبس الأسود في نفس الحالة فإن إحساس كل جماعة سيتكيف حسب ذينك اللونين.. أي واحدة تكره الأسود، والأخرى تحبه والعكس بالعكس، وهذا الإحساس له تأثير مادي على الخلايا وعلى كل الذرات وحركتها في الجسم، وبهذا سينتقل هذا التكيف بالوراثة، فيكره الوارث اللون الذي يكرهه مورثه تلقائياً نتيجة وراثته

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الفصل الثالث، الركن الاجتماعي، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة 26، 1999ف، ص 189.

لإحساس مورثه، وهكذا الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها، ولا تنسجم مع فنون غيرها بسبب عامل الوراثة حتى ولو كانت هذه الشعوب، المختلفة تراثاً تتكلم حالياً لغة واحدة»[1].

تؤكد النظرية الجماهيرية على أن التواصل بين أفراد ذوي خلفيات مختلفة كلياً، بحكم انفصالهم بحواجز اللغة، واختلاف العادات والتقاليد وتباين وجهات النظر، قد يجدون أن قاعدتهم الوحيدة في التواصل تكمن في إحساسهم المشترك بالعالم الملموس المحيط بهم، لكن حتى هذا الإحساس المشترك يكون عرضة لتأثير عامل الوراثة عند جماعة ما. بمعنى أن اللون الأبيض قد يكون رمزاً للفرح أو الحزن وفقاً لمعتقدات وتراث جماعة ما، فاللون الأبيض رمز للحداد والموت في الصين وأفريقيا السوداء، أما في المجتمعات الأخرى فهو رمز للفرح والطهر والصفاء وهكذا.. فاللون رمز له معنى، يرتبط بمشاعر الطبع البشري، وسماته... ونشاط الناس.. وقناعاتهم ونظراتهم، وهو ما يؤكد عليه الفيلسوف الأسباني جورج سانتيانا (1863 ـ 1952)G. Santayana فـ «الحق أن تأثير الألوان ليس مجرد تأثير حسي، بل هو تأثير عاطفي (أو وجداني) أيضاً بدليل أن منظر غروب الشمس... يثير في النفس من «الارتباطات المتنوعة» ما يخترق الحواس عبر القلوب، فتنفعل له النفس، والجسم معاً»[2].

فالألوان ليست مجرد ألوان تراها العين، بل هي مرتبطة بأحاسيس وذكريات سارة أو مكدرة، تسهم في بناء المناخ الوجداني لأي موضوع.

فليس من قبيل المصادفة أن يكون اللون الأسود أو الأبيض رمزاً للحزن عند الشعوب المختلفة، فالألوان عادة ترتبط بالأهمية التعبيرية لها،

(1) المصدر السابق نفسه، ص 192.

(2) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة ـ مصر، 1966، ص 66.

ومن المعروف أن لون وجه الإنسان مثلاً مشروط بوضعيته الجسدية والروحية «سليماً» أو «مريضاً» حياً أو ميتاً «فاللون يسهم بشكل مباشر» كرمز «في التعبير عن أحاسيس الناس وطبائعهم، فاللون كان طيلة فترات التاريخ أكثر الرموز استخداماً.. فصراحة اللون ونقاؤه يعطيان مجالاً رحباً لاتخاذه رمزاً بسيطاً».

فمثلاً يكتسب اللون الأخضر في المجتمع الجماهيري دلالة وقيمة رمزية خاصة باعتباره رمز الأمل والنبل، والحياة والطبيعة بما فيها من سعة، ورمز الجنة، يعبر الأخضر عن تجدد الربيع، فليس بدعاً أن نرى أن اللون الأخضر رمز الثورة الليبية لأنها تبعث الحياة من جديد، وتقهر التخلف والفقر، وتهزم الصحراء والأرض القاحلة، ولأنها تطمح لتحقيق السلام والرخاء والحرية والسعادة لكل إنسان.

وفي الحضارات القديمة المختلفة حظي اللون الأخضر بتقديس وإكبار، «وهي الحضارة المصرية، كان يوضع مع الإنسان المتوفي حجراً أخضر لكي يفتح فم المتوفى ليعود إليه الكلام»[1].

والأخضر «يبقى عند الصينيين لون الربيع كما هو أيضاً عند الرومان وفي كثير من الحضارات»[2].

أما في الحضارة الإسلامية فهو «اللون المقدس للنبي وأصحابه وإن علم الإسلام أخضر»[3].

---

(1) كاظم حيدر، التخطيط والألوان، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، 1984،ص 211.

(2) ليكال يولداشيف، قضايا البحث الفلسفية في الفن، ترجمه عن الروسية زيادة الملاّ، طبع في لبنان على مطابع دار المسيرة، بيروت، 1984، ص 187.

(3) فيليب سيربنج، الرموز في الفن الأديان الحياة، ترجمة: عبدالهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، 1992، ص 423.

أما اللون الأحمر، فهو لون الحب والكراهية، لون الغضب والدم، والقوة أو النزعة العسكرية، ويتخذ رمزاً للشيوعية والطبقة والبروليتاريا.

أما اللون الأصفر المشع فيرمز إلى التصورات المرتبطة بضوء الشمس والصيف، أما درجات الأصفر غير المستحبة للعين والمثيرة للنفور، والاشمئزاز فترمز إلى الغيرة والحسد والخداع «ولهذا السبب بالذات غالباً ما يصورن بوذا في لباس أصفر وسخ أو أنهم يضفون هذا المسحة على وجهه».

أما من الناحية السيكولوجية، فمن المعروف أن اللون يؤثر بصورة معينة في الإنسان، فبعض الألوان تثير وتهيج، والبعض الآخر، على العكس من ذلك تهدئ وتريح الأعصاب... فاللون الأحمر مثير ومهيج ومنعش ومنشط وحيوي... واللون البرتقالي مرح ومحب للحياة ومتقد ويربط بين فرح الأصفر وهيجان الأحمر واللون الأصفر دافئ ومرح وجذاب.. واللون الأخضر هادئ ويخلق مزاجاً جميلاً (مريحاً) واللون الأزرق هادئ وحزين وكئيب بيد أنه يمكن للألوان التي تذكرنا بالثلج والسماء (كالأزرق والأبيض والسماوي) أن تثير فينا إحساساً بالبرودة، والألوان الحارة كاللون (الأحمر، الأصفر، البرتقالي) أن تثير فينا انطباعاً بالدفء والحرارة.

وتطلق الألوان كرموز على الأجناس البشرية، فاللون الأصفر للجنس الآسيوي، والأبيض للجنس الأوروبي، والأحمر للجنس الأميركي، واللون الأسود للجنس الأفريقي، وفي الحقيقة لا يوجد إنسان أحمر اللون أو أصفر ولكنها رموز ليس إلاّ، تعطي مدلولاً شاملاً، وقيمة رمزية خاصة للزمان والمكان.

الفن الجماهيري:

بقيام سلطة الشعب ومولد أول جماهيرية في التاريخ على أرض الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، كان لا بد من أن

تحدث تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية، ويتعرض هذا البحث لجانب واحد وهو الجانب الاجتماعي.. الذي تنسب إليه الفنون.

وفي عصر الجماهير الذي فيه الجماهير هي السيد والقائد، تقرر ما تريد وتصنع السياسة العامة وترسم الطريق، بدأت الجماهير ـ لأول مرة في تاريخ الفن ـ بدور القوة الحاكمة، التي على الفنان أن يدخلها في حسابه، فيعبر بلغة الفن عن معنى يلامس نبضها ووجدانها، ويجسد أحلامها، وتطلعاتها وطموحاتها.

فالفن الجماهيري تعبير على عصر الجماهير وذوقه، أكثر مما هو اتجاه لشخص معين أو مدرسة فنية بعينها.

والحق أن الفن الجماهيري، هو لغة إنسانية راقية تخاطب الجموع لا الأفراد فهو فن لكل الجماهير وليس حكراً على فئة دون أخرى.. فرداً كانت أو طبقة، أو حزباً، يقترن بحرية التعبير، ويعبر أصدق تعبير عن حقيقة الجماهير دون زيف أو تضليل، يخاطب كل الجماهير على اختلاف ثقافتها ونشأتها وأمزجتها، تعليمها، وتربيتها، بلغة غير مباشرة وغير معقدة ولا تبسيط، في تطويع لكل الوسائل ومختلف الأساليب وبلا رخص أو استخفاف بعقلية الجماهير.

ويكمن جوهر فن الجماهير في تحوله من الخصوصية والأنانية إلى المجموع والجماعية، إذ إن هذا التحول يعرض المشكلات ويدفع إلى مساحة فنية أكثر رحابة وهو ما من شأنه أن يخلق شكلاً تضامنياً مع القطع الفنية، تستريح لها ومعها نفوس وأرواح الجماهير، بشرط ألا يكون الفن مجرد مداعبة للأعصاب وتسلية لا جدوى منها، بل دعامة من دعائم هذا البناء الجماهيري.

لذا يصبح التوجه والواجب الفني للجماهير.. للمجتمعات وليس للفرد في ذاته أو شخصه.

والحق أن الفن من الرؤية الجماهيرية، تعبير عن الفرد في نطاق علاقته بالمجتمع، فالعلاقة بين الفن والمجتمع علاقة وثيقة وإن اختلفت مظاهرها وفقاً لاحتياج كل منهما إلى الآخر «فالمجتمع يتطلب وينتج فناً يختلف باختلاف كونه مجتمعاً استعبادياً أو ملكياً أو أرستقراطياً أو برجوازياً أو ديمقراطياً»[1].

والفنان الحقيقي هو الذي يخوض معترك الحياة، بشتى صورها، وأطيافها وأفراحها، وأتراحها، يعاني ما يعانيه الآخرون، فيذوق حلاوة النصر، ومرارة الهزيمة، ليأتي بفن مفعم برائحة الحياة، أما إذا انعزل عن الحياة وعاش في برجه الخاص فسوف تفقد عواطفه وأفكاره المعين الذي ترتوي منه، وهو الحياة والمجتمع، وعندئذ تتناقض مشاعره وأفكاره مع مشاعر الجماهير وأفكارها، فيعيش بمعزل عن الحياة في سجنه الخاص الذي لا يمارس فيه أي حرية حقيقية، فالحرية الحقيقية هي في انسجام مشاعر الفنان مع مشاعر قومه حيث يحس مشاكلهم، ويعبر عنها بعمق، ولا غرو فإن أي فن يناصب العداء للمجتمع، ويتجاهل مشاكله، وصراعاته هو فن متدهور وفاسد.

بيد أن الفنان سواء كان معبراً عن روح الجماعة أو عن ذاته وآلامه وأحلامه، هو ابن زمنه وتقلباته التي تظهر في إبداعاته، وبهذا المعنى فإن أي عصر من العصور هو تعبير عن المظاهر الاجتماعية والاقتصادية التي سادت ذلك العصر.

ولا نرى عجباً إذا رجع المؤرخون والمفكرون إلى الأعمال الفنية لمعرفة المجتمعات التي يدرسونها. باعتبار أن هناك اختلافاً بين الأعمال الفنية التي نفذت في عصور الرخاء والهدوء وبين التي أبدعت في عصور هائجة.

(1) رمضان الصباغ، في التفسير الأخلاقي والاجتماعي للفن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998ف، ص177.

ونحن هنا في المجتمع الجماهيري (لا نعني بالرؤية الجماهيرية للفن) الابتعاد والتضاد مع الفن العالمي، بل إننا نعني تقديم فن إنساني هادف، ونافع، تستفيد منه كل الجماهير وتقبل عليه باستمرار، ليتحول الفن بذلك إلى غذاء روحي يومي يصعب الاستغناء عنه، والفن الجماهيري بطبيعته متفائل يتطلع باستمرار لاستشراف المستقبل السعيد.

ويتسم الفن الجماهيري بطابع إنساني بوصفه لغة تعبر عن علاقة الروح البشرية بالعالم، فالإنسان هو الوحيد القادر على امتلاك لغة التعبير، فإنسانية الفرد لا تقوم فقط على أساس امتلاك مشاعر إيجابية لمجتمع، بل ومن خلال القدرة على إظهارها من خلال الأفعال.

والحق أن التعامل مع الفن يسهم في تكوين ثروات مشاعر الإنسان، وفي الوقت نفسه «يعلم» الفن الإنسان اللطف والطيبة والاستجابة.

وعموماً فالفن الحقيقي هو الذي يؤثر ويسمو بعاطفة الإنسان ووجدانه مهما كانت، هويته وجنسيته لونه أو قارته. بمعنى أنه الفن المكتسب لصفة العالمية غير المحددة والمحدودة بمكان أو زمان، فن يندد بقوة بكل ما هو راكد ورجعي، يعانق قضية، يجابه ظلماً أو قهراً للنفس البشرية، كل ذلك عن طريق لغة الأحاسيس والمشاعر، لذلك فإن «الأحساسات في أكثر صورها بدائية، ومباشرة هي مصدر الفن»[1] وبهذا الطابع الإنساني الفياض بالأحاسيس والآمال والتطلعات يكمن سر قدرة الفن على التأثير في فترات أبعد من اللحظة التاريخية التي نشأ فيها، وبذا كان للفن سره الدائم.

وفي عالم الفن الجماهيري تتماهى معالم الصورة الفردية ولا يكون هناك مجال إلاّ للصور الجماعية المتمثلة بحياة الجماهير وصور بذلها

(1) مجموعة من علماء الجمال السوفياست، مشكلات علم الجمال الحديث، قضايا وآفاق، ترجمة: فريق من دار الثقافة الجديدة، دار الثقافة الجديدة، 1979ف، ص 354.

وكفاحها، ولأن الجماهير باقية خالدة فكل ما يدور حول صور حياتها المتعددة يعتبر قيماً لأصالتها لأنه يعبر عن حقيقتها بدون قناع أو اصطناع.

والفن الجماهيري له رسالة عالمية في هذا العصر فهو يستطيع أن يساهم بنصيب كبير في مؤازرة القضايا الدولية، بتدعيم السلم وصيانة حقوق الإنسان من خلال تضمين «الصورة الفنية» موقف العصر ووقائع المجتمع ولا غرو فإن هذا الفن يعزف على أوتار تلامس مشاعر ملايين البشر في هذا العالم.

فالفنان الذي يعيش بالقيم الحضارية لا يستطيع أن يتجاهل قضايا الساعة أو الصراع الدائر في عصره، بل يشارك بإبداع ملحمي في التعبير عن هذه اللحظة التاريخية فيسهم في تعميقها وإرسال أبعادها إلى آفاق تولد طاقات لا حدود لها ولقد وعى فنان عظيم مثل بيكاسو هذه الحقيقة، حين قال: «لقد أثبتت لي سنوات الاضطهاد أنه يتعين عليَّ ألاَّ أكافح بفني فقط، ولكن بكل كياني.. ماذا تظنون في الفنان؟ رجلاً أحمق لا يملك سوى عينين إذا كان مصوراً، وأذنين إذا كان موسيقياً، وقيثارة في كل طبقات القلب إذا كان شاعراً!.. إنه على العكس من ذلك كائن سياسي دائم اليقظة أمام أحداث العالم فيشكل بها جميعاً، سواء كانت أحداثاً تمزق القلب، أو أحداثاً رقيقة أو مثيرة»[1].

ومن هنا كان بيكاسو أصدق شاهد لعصره.. وأبلغ معبر عن أحداثه وما من فنان استطاع أن يصور مذبحة القيم الإنسانية واندحار الحرية مثلما صورها هو في لوحة «خرنيكا».

إذاً فالتأكيد على احترام قيمة الإنسان هو مطلب الجماهير في المجتمع الجماهيري، الذي يقدس رسالة الفن والفنان، ويقدر له حقه في

---

(1) بدر الدين أبو غازي، الفن في عالمنا، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1973، ص 55 ـ 56.

الوصول إلى غايته المنشودة وهي السعادة.

إن الحديث عن الأخلاق والفنون ومحاولة فلسفتها ليسا بالأمر الجديد في تاريخ الفكر الإنساني، إذ عالجتها البشرية وفقاً لارتباطها بمصالحها الحيوية وهي تتقلب في أطوارها الحضارية «إن الأخلاق والفنون وقبل ذلك قيمة الإنسان ليس من المتيسر تفسيرها علمياً بالاعتماد على علم الاجتماع أو السياسة من حيث إن علم الاجتماع يقدمها كما لو أنها لا تقبل التغير في حين تقدمها السياسة كما لو أنها في صورتها المثلى التي يجب ألا تتجاوزها»[1]. والواقع إن عالم الأخلاق إنما هو عالم الواجب والإلزام، والتكليف، والصراع ضد الخطيئة.

والأخلاق في الفنون الجيدة.. من منطلق ثوري، غير الأخلاق من منطلق تقليدي، كما أن الفن من رؤية ومنظور سياسي، وبخاصة بعد أن عرفنا أهداف السياسة ومطامع السياسيين، وقيمة الإنسان نفسها تختلف هي الأخرى في الأخلاق والفنون القديمة والرجعية عنها في مرحلة تتسم بالثورية.

فالفن لكي يكون ثورياً لا يستطيع الاستغناء عن الإنسان الذي يتفاعل ويتحرك وينتقل من الحالة إلى نقيضها، بقوة الحياة القائمة فيه والمتمثلة بالحرية والإرادة والمعرفة والمسؤولية.

ويبقى مقياس ثورية الفن هو مدى احترامها للإنسان كقيمة وقوة وكعنصر مادي أساسي واحترام الإنسان يأتي عن طريق وضعه في مكانه الصحيح من العمل والسياسة والواجب، لكي يأخذ حقه الكامل من إنسانيته ووجوده. والفن الثوري ليس هدفاً في حد ذاته، بل في ذات الإنسان الذي يشكل مادته.

(1) شروح الكتاب الأخضر، المجلد الأول، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، الطبعة السادسة، 1999، ص 170.

إن الفن الجماهيري هو توأم للفن الثوري، حيث أن كلاً منهما يتسم بطابع إنساني كونه انبثق من أعماق موجود مبدع، وكلاهما يهدفان إلى تغيير الأوضاع وتصحيحها، باعتبار أن الفن الثوري هو عمل يهدف إلى تغيير جذري وتصحيح لوضع خامل ومتعفن، والفن الجماهيري هو لغة وتعبير وفي التعبير تحوير وتغيير، فالفنان عادة أثناء تصويره عملاً ما، لا ينزع نحو رؤية العالم بقدر ما هو ميال إلى صياغة عالم آخر وتغير الوضع والحال، أي بمعنى أن الفن ثورة.

ولما كان فن الثورة هو العمل الذي يقوم بمهمة كشف وتدمير الواقع المزيف والمثقل بالظواهر الرجعية والسلبية، لأجل خلق وبناء عالم أفضل تتحقق فيه آدمية الإنسان وسعادته فإن الفن في المجتمع الجماهيري يختلف بطبيعة الحال عن الفن في المجتمعات الرأسمالية والبرجوازية، وهو ما يؤكد عليه القذافي قائلاً: «إن الفن الثوري ليس صدى للواقع القائم، ولكنه تمرد عليه، ومتجاوز له، وتحقيق عملي لتكامل الفعل الثوري ونضجه بتجسيده فنياً».

في حين «كان الفن عند ماركس وانجلز انعكاساً للواقع، هذا الانعكاس في ظروف المجتمعات المتناحرة طبقياً يحمل طابعاً طبقياً»[1].

ويرى الباحث أن عمل الفن يختلف تماماً عن عمل المرآة، فالفنان الحقيقي لا ينسخ الواقع، بل يسعى للتعبير عن نظرته إليه.

ولا غرو فإن الفن الذي يقدس ويعلي من قيمة الإنسان هو فن محرض بطبيعته للمخيلة والإحساس والوجدان، وليس فناً مهدئاً، يقصد من ورائه تخدير الجماهير واستغفالها، بل هو مفجر إمكانات الجماهير وإبداعاتها، باعتباره أداة تحريض للجماهير على «أن تنتج وأن تتقدم وأن

(1) إنصاف الربضي، علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1995، ص148.

تثق في نفسها وتحتل مكانها تحت الشمس»[1] فالتحريض يكون لأجل ممارسة الدور في البذل والعطاء.

إن المفكر معمر القذافي يعي ويستدرك أهمية الأثر الجمالي للأعمال الفنية، على سيكولوجية البشر، باعتبار الفن لغة نوعية خاصة، تخاطب الوجدان والأحاسيس، وتعد الوسيلة المثلى لاستيعابها. ولا غرو فإن العمل الفني يترك انطباعاً لا يمحى من مشاعر الفنان والمتذوق على السواء.

فالإنسان الناجح والمتوازن عادة هو الذي يتسم بروح معنوية عالية، ويعد الفن إحدى الحاجات المعنوية التي تسهم بفعالية في بناء شخصية الإنسان النموذجي الحر، وبالتالي بناء المجتمع الجماهيري ككل، الذي يجعل على رأس غاياته «سعادة» الإنسان، التي لا تتحقق إلاّ في ظل الحرية المادية والمعنوية.

ومبعث هذه السعادة هو الجلاء الروحي «الداخلي» للإنسان الذي ينعكس تلقائياً على سلوكه وتصرفاته.

لذا أكد المفكر معمر القذافي على تفعيل دور الفن قائلاً: «يجب أن تسخر كل الإمكانات الفنية والإبداعية لنجاح عملية التحريض لرفع الروح المعنوية إذ يمكن تصوير آمال الجماهير وتصوير المستقبل.. يعني إذا رسمت لك صورة مشوقة للغد فمعناها أني بعثت فيك الحماس لتحقيق هذه الصورة لكن لا يمكن أن تغيب عني صورة الغد وتحرضني لكي نتحمس من أجل تحقيقه لأنه فرصة غائبة، والفن يستطيع رسم هذه الصورة وهي أفضل من الزخرفة والكتابة بالخط الكوفي أو الديواني أو غيره.. يعني لو ترسم صورة

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي السادس عشر، 1984 ـ 1985ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة الثانية، ص 792.

للغد أعتقد أن هذا أفضل من أن ترسم لوحات وملصقات في المهرجانات».

من هنا نرى أن أبرز ما ركز عليه هو ضرورة تصوير المستقبل السعيد.. القادر على استشراف الوقت الذي تتحول فيه النبتة البازغة إلى شجرة عظيمة مزهرة.

فالإنسان و(الفنان الخلاق) يجب أن يستشرف بخياله اللحظة التي تزهر وترتفع فيها براعم المستقبل التي تبزغ اليوم، فيأخذ الفنان هذه البراعم، التي تبشر بمستقبل جديد وأفضل، ويركزها ليجعل منها «عملاً إبداعياً» ومن هنا نرى أن الفن الجماهيري، لا يهتم بتصوير الواقع فقط، بل يهتم أيضاً بالمأمول فيه والضروري باعتباره رؤية للمستقبل.

فرسم الفنان صورة الغد السعيد يبعث ويحرك الرغبة فينا لجعل هذا الوعد والأمل واقعاً ملموساً.

ولكن «ما الذي نعنيه بالصورة؟ إنها المشاركة في الشيء عن طريق النظر»[1] والصورة الفنية هي «الكل الفني المكتمل»[2] من فكرة، ومادة وفعل، التي تعكس على نحو دقيق ومباشر نمط العلاقات بين الفرد والمجتمع.

ولقد وجد المفكر معمر القذافي أن «الصورة» Image أقوى تأثيراً من الكتابة ـ فهي أقوى مثال للتعبير عن المضامين الفنية التقدمية والموضوعات السامية، كـ «تصوير القرآن وتصوير التاريخ، وتصوير المستقبل، وتصوير الحاضر، وتجسيد كل المعاناة الموجودة الآن»[3]. والحق أن فن الرسم

(1) عقيل مهدي يوسف، الجمالية بين الذوق والفكر، مطبعة سلمى الفنية الحديثة، بغداد ـ العراق، 1988ف، ص82.

(2) غيورغي غاتشف، الوعي والفن، ترجمة: د. نوفل نيوف، مراجعة سعد صلوح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 196، 1990ف، ص 12.

والتصوير يعدّان من أكثر الفنون قدرة على التعبير والانتشار والتأثير في نفوس الناس متعلمين كانوا أم أميين.

ويتسم التصوير بثباته ومرونته وقدرته على الاستجابة لمتطلبات العصر، بتكلفة ومدة زمنية أقل.

ففي إمكان التصوير أن ينجز أكثر مما تفعله مئات الكتب والمقالات، وبالفعل فالمجلدات المؤرخة للتاريخ تحتاج في العادة إلى شخص متعلم ومثقف، ولديه متسع من الوقت والصبر للقراءة، بعكس الصورة التي تختصر كل ذلك فتجذب إليها المشاهد في مشهدية تجتمع عناصرها وتتنوع أهواؤها بتوزيع الظل والنور، والمنظور. وكيميائية اللون، قصد الإيحاء بما هو مطلوب وهو يقول مؤكداً: «فالرسم إذا فهم جيداً، ويمكن أن نجعل الناس الذين لا يقرأون التاريخ بالرسم يقرأونه.. تعذر أن نرسم مآسي الطليان وعهود الترك (فالصورة) أبلغ وأكثر تأثيراً من الكتاب أو المقال لأن الإنسان يتأثر بالصورة أكثر مما يتأثر بمقال كاتبه أحياناً يجيد وأحياناً لا يجيد». فالعمل الفني عندما يحمل مضموناً تاريخياً، يصبح بمثابة سجل يعكس صحائف المجد لتاريخ هذا الشعب، ويعد لمسة وفاء وفخر منا، للمجد الذي صنعه الآباء والأجداد بالفداء والتضحية.

والمفكر معمر القذافي لا يرى مانعاً من تصوير القرآن وهو يقولها بصريح العبارة: «لا مانع عندي أن تتجسد كل الآيات القرآنية بالصور، ولا نعتد بالكلام الرجعي، فالرجعية هي التي جعلتنا لا نتقدم.. يعني أقول لكم للأسف إن المعتقدات الدينية الرجعية وليست دين الله وكذلك المعتقدات الاجتماعية القبلية إذا وجدت في المجتمع فلن يتقدم».

إن المفكر معمر القذافي رجل ثوري، يحمل فكراً تقدمياً، لهذا قام بطرح هذا الطرح الجريء، الذي يعد ثورة حقيقية في الفن التشكيلي،

(1) سلسلة (السجل القومي)، 1984 ـ 1985ف، مصدر ذكر سابقاً، ص 796.

فيسهم بشكل كبير في خدمة الدين الإسلامي، من خلال جذب معتنقين جدد للإسلام، وتعليم وتثقيف الأميين والمسلمين من غير الناطقين باللغة العربية، فهو بمنزلة دعوة صريحة للتعريف بالدين الإسلامي وفهم أوضح مباشر للإسلام.

والحق أن أرفع مقصد للفن يتمثل في كونه يمتلك سلطة إعطاء تمثيل محسوس لهذه الأفكار السامية فيجعلها في متناول أيدينا.

بيد أن بعض المتشددين أو الرجعيين قد يشكك في مثل هذا الطرح بدعوة ما ينسب للإسلام من كراهيته للتصوير.

ولكن القذافي يرد على تلك الاتهامات الباطلة بحكمة شديدة وحجة القذافي في ذلك أن «هذه سور قرآنية تمت كتابتها بعد الوحي على الرقع أو على السعف ثم حولت على الورق وهذه خطوة في طريق تصويرها لأن الحرف يعد تجسيداً لها بعد أن كانت شفوية وكان من الممكن أن يحتج عليها أصلاً لأن هذا كلام الله وحياً عن طريق جبريل، فكيف يكتب على الرقع والسعف؟ فإذا كنت أستطيع أن أصوره فمن الذي يمنعنا من أن نستخدم هذه الإمكانية»، ويعد التصوير قاعدة التعبير الأساسية في القرآن الكريم فهو تصوير بالكلمة والتمثيل والحركة واللون. والحق أن القرآن الكريم لم ترد فيه إشارة صريحة واضحة إلى تحريم التصوير بل على العكس من ذلك هناك آية كريمة تحض نبي الله داود عليه السلام على العمل في هذا المجال ولا يعقل أن يقوم نبي الله بعمل شيء يغضب فيه الله سبحانه وتعالى. وهذا نص الآية «بعد بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[1] صدق الله العظيم.

ترى أي تحريم إذن يمكن أن يستند إليه البعض تعسفاً في القرآن

(1) القرآن الكريم، الآية 13، من سورة سبأ.

الكريم، والإسلام دين جمال وخير هيهات أن يحرم الطيبات.

ولقد نادى المفكر معمر القذافي بتصوير وتجسيد القيم التي تصنع الحياة كالحرية والمساواة والعدالة، فالتقديس لا يكون للشخص وإنما للفكر ويحدثنا القذافي ليوضح لنا هذه الفكرة قائلاً إن «جميع تماثيل العالم ما عجبني تمثال واحد منها إلا تمثال في مالطا وهي أصغر دولة وأصغر بقعة في العالم بطل اشتراكي كان في مالطا زماناً وصنعوا له تمثالاً وضعه غريب عن جميع التماثيل الموجودة بالعالم. والذي لفت انتباهي أنهم أقاموه على الأرض مباشرة لما تمشي الناس بجانبه تتساوى معه لماذا؟ قالوا هذا عمل الاشتراكية عمل المساواة ولأنه أبدع فهذا مكانه وليس مكاناً عالياً مثل طلعت حرب في مصر وغيره من التماثيل عملوه على مستوى الأرض مباشرة تجسيداً لفكرته بأنه يساوي بين الناس، اشتراكية، ومن ثم فإن هذا التمثال بوضعه هذا مؤثر وأعظم من أعلى تمثال موجود في العالم».

فالعمل الفني يجب أن يكون عملاً جاداً زاخراً بالقيم ولقد أكد القذافي ـ أيضاً على ضرورة احترام التراث والثقافة والواقع التي تعكس كينونتنا ومؤكداً على «أن الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها»[1]. إنه لو نظرنا نظرة جدلية موضوعية إلى هذه المقولة لوجدنا أنها لا تعني بالضرورة توجيهاً ولا أمراً صارماً بالنزوع نحو الانغلاق على ثقافتنا وحضارتنا.

ولكنه اعتراف بحق الشعوب في كل ما من شأنه أن يلامس نبضها ووجدانها، وحنينها الدائم في التقرب إلى تراثها، والانتماء الصادق إلى جذورها، ولا غرو فالقيم الجمالية نسبية وتتأثر بالتحديدات الزمانية والمكانية، فما كان جميلاً في عصر النهضة ليس جميلاً في القرن العشرين، وما هو جميل للأوروبي لا يشترط أن يكون جميلاً لدى

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الفصل الثالث، الركن الاجتماعي، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، الطبعة 26، 1999ف، ص 191.

الأفريقي. وهي دعوة لاستلهام التراث في أعمال فنية جمالية، تسهم في التعريف والرقي بفنوننا وتراثنا.

ولا يعني بتاتاً فرض المناخ التراثي والشعبي على الفنان. فليس هناك من فائدة ترجى من إخراج كل ما هو مهمل ومنسي إلى حيز الوجود، وهو ما يرضي مزاج الفنان الذي يقدس حريته تقديساً كثيراً.

يبد أن الفن الذي يعبر عن الطابع الإقليمي والشعبي والذي له دلالة تاريخية لا يتعارض مع الفن العالمي بل يفضي إليه، باعتبار أن العالمية هي قدرة العمل على التوصيل والتواصل والانتشار.

فالأعمال الفنية الجمالية لفن التصوير «الصيني» قد تؤثر في المتذوق العربي مثلاً.. إلا أنها أعمال تقدم ترجمة بصرية للطابع المحلي الصيني.

ولذا «فإن الفردية (أو الخصوصية) إذا فهمناها في أعماقها لا تتعارض والعالمية، ألا يحمل إنسان ـ بحسب قول مونتبان ـ شكلاً من أشكال الحياة الإنسانية»[1].

إن أروع ما في رؤية القذافي للفن أنه لم يلزم الفنانين بفن موجه فترك لهم حرية التعبير واختيار الأساليب الملائمة لتصوير رؤاهم وأحاسيسهم.

دور الفنان والفن ومكانته في المجتمع الجماهيري:

على كل إنسان منا في هذه الحياة واجب لا بد من أن يؤديه مصلحة وطنه، وأهله، ونفسه.

والفنان هو أحد أفراد المجتمع الذي أنجبه. فهو كغيره يتحتم عليه أن يعمل لمصلحته، فهو أحد دعائمه، وأحد فواعله في معترك الحياة. وشأنه في هذا شأن أي مواطن آخر تقع عليه مسؤولية لا تختلف في خطورتها عن

(1) سعيد توفيق، عالمية الفن ومحليته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992، ص 19.

مسؤولية الطبيب والمهندس والصانع والزارع والتاجر والمدرس والشاعر والأديب.

وهو ملزم بواجب لا تحده نهاية، تدفعه إليه شؤون المجتمع ومطالب الجماهير ومستلزمات الحياة، ولا يصح أن يتأثر في ذلك بغاية شخصية أو غرض ذاتي. وبقدر استجابته لخدمة البشرية، وأداء واجبه لمصلحة مجتمعه، وبقدر ما يقدر ما يقدمه من وسائل تؤدي إلى رفع الحياة والنهوض بالجماهير التي ينتمي إليها، وتلبية مطالبها، يكون الحكم على نجاحه في أداء الأمانة الملقاة على عاتقه. وتبليغ الرسالة المنوطة به ومن ثم الحكم على جدارته واستحقاقه.

لذا يجدر بنا ألا نغفل دور الفنان في المجتمع، ودور الدولة أيضاً في حمايته واحترام فنه، وتوفير سبل الحياة الكريمة له. فعلى الدولة أن تحترم الفن باحترام الفنان واقتناء أعماله، وتشجيعه على إقامة المعارض في الداخل والخارج والتشجيع أيضاً على اقتناء أعماله، للنهوض بالفن وبرسالته باعتباره الواجهة الحضارية التي يقاس بها مدى تقدم الشعوب وازدهارها. ومن أجل هذا كانت مهمة الفنان في حياة البشر ذات شأن.

والواقع أن المفكر معمر القذافي قد وعى وآمن بأهمية دور الفنان في المجتمع الجماهيري، فوصفه بأنه «معلم للبشرية» في أحد لقاءاته بالفعاليات الفنية هذا نصه «فالمعلم من هو؟ أنتم الذين تمثلون وترسمون وتلحنون وتنتجون وتعزفون. هؤلاء هم المعلمون. يعني أنتم الآن أول معلم في الحقيقة للشعوب»[1].

إن المفكر «معمر القذافي» ربط الفن بالمجتمع عندما تكلم عن

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثلاثون (ب)، 1998 ـ 1999ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، ص 1115.

ضرورة أن يكون الفنان معلماً للشعوب، لأن الفن الأصيل لا يؤدي دوره إلا عندما يعلم الإنسان كيف يتصرف تصرفاً سليماً. ويوقظ فيه الرغبة في العمل الفعال باسم توطيد الحق والخير والجمال في الحياة، وعلى أساس ذلك رأى أن العنصر الحاسم في العمل الفني هو حقيقة محتواه.

والحق أن المفكر «معمر القذافي» قد اتفق مع المفكر التنويري «دينيس ديدرو» في أن يكون الفنان معلماً للجنس البشري يربي الناس بروح الفضيلة والمواطنية والشجاعة.

وقد فطن إلى هذه الحقيقة كبار الفنانين في كل زمان ومكان، فكان هدف الفنان هو النفاذ المستمر إلى كنه الأشياء «ولعل ما عناه ليوناردو دافنشي حينما قال: إن المصور والمثال هما المعلمان العظيمان اللذان يكشفان لنا عن ملكوت العالم المرئي»[1].

فالفنان يعلمنا أن نرى الآن ما يبنيه لنا هو نتيجة عمل روحه فنحن لا نشاهد أمام لوحة مشهداً خارجياً كلياً بالنسبة إلينا. وإنما نشاهد نتيجة استبطان كانت فيه روح الرسام في وفاق مع ذاتها. وهو إذ ينقل انطباعاته إلى البشر لا يفعل ذلك إلا بلغة «الأحاسيس والمشاعر فقط».

وقد أعلى من مرتبة الفنان كثير من المفكرين والفلاسفة على مر العصور ومن ضمنهم الفيلسوف الفرنسي المعاصر (الآن) الذي وضع الفنان في مرتبة «القديس» و«الحكيم» فقال: «إن هؤلاء الثلاثة لا يصدرون في تفكيرهم إلا عن ذاتهم، كما أنهم لا يعرفون التملق ولا يعشقون المديح، ولا يخضعون لحكم المجتمع ولكنهم في الوقت نفسه مصلحو المجتمعات لأنهم صانعو الإنسانية».

(1) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1966، ص 238.

ولكن من هو الفنان؟

إن المفكر معمر القذافي يرى أن «الفنان هو الممثل والمغني والملحن والعازف والراقص الغنائي والمخرج هذا هو الفنان»[1].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن، لِمَ وضع «القذافي» الرسام في خانة الحرفيين؟

ويستطرد القذافي فيقول: إن «الفنان هو الذي ينقل الفن للجماهير»[2] وهو ما نتفق عليه جميعاً. فالفنان هو الرجل الذي يضع على اللوحة ذلك المشهد الطبيعي الذي هو في منزلة جزء متكامل لا ينفصل منه.

بيد أن رودان يقول «إن كلمة (الفنان) بمعناها العام إنما تعني كل امرئ يجد لذة كبرى في ما يعمل». فالفنان رجل يعشق مهنته، وهو يرى أن أثمن مكافأة يظفر بها هو اغتباطه بتحقيق عمل جيد ولن يظفر العالم بالسعادة الحقة إلا حينما يتهيأ للناس أجمعين أن يكتسبوا روح الفنان، أعني حينما يكون في وسع كل واحد منهم أن يجد لذة في ما ينهض به من عمل»[3].

ولكننا نقول: إن الفنان الحقيقي هو الإنسان الحر الذي لا يحتقر عمله، يجد فيه.. ويصدق فيه.. فيرقى بفكره إلى الشيء الملموس الذي يخلع عليه صورة فيها مزيج من عصارة فكره ووجدانه. وليست مسألة الصدق في الفن سوى وفاء الفنان لرسالته، بوصفها نشاطاً لا يبدأ إلا حين تنتهي الحرفة.

---

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي الحادي عشر، 1979 ـ 1980ف، المكتب الشعبي للجماهيرية الليبية بباريس، 1983، ص 528.

(2) سلسلة (السجل القومي) 1984 ـ 1985ف، مصدر ذكر سابقاً، ص 804.

(3) زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1959ف، ص 206.

وقد يحق لنا أن نسأل عن دور الفن والفنان في المجتمع الجماهيري «الاشتراكي»، وما حقوق وواجبات الفنان في هذا المجتمع؟

الفنان في المجتمع الجماهيري «الاشتراكي» لا يعمل من أجل سلطة بذاتها.. ملكية كانت أو دينية، فمهمته تسمو على ذلك ويتمثل في تقديم الثراء الروحي لكل الجماهير، فالاشتراكية بمفهومها العام تعني تحقيق عدالة التوزيع للدخل، وأن الملكية الجماعية هي الوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف وباعتبار أنه «في الحاجة تكمن الحرية»[1] فإن حريةَ الفنان تكون ناقصة بسبب ما إذا تحكم شخص آخر في حاجته، فالاستغلال سببه الحاجة.

لذا فالاشتراكية توفر للفنان الأمن الاقتصادي، فتحرره من الخضوع لذوق وسيطرة طبقة بذاتها، وتجنبه الوقوع نهباً وسطوة واستغلال تجار الفن.

ويعد «الفنان من أكثر أفراد المجتمع قرباً من روح الاشتراكية الإنسانية، فعمله دائماً قائم على استغلال مواهبه لا استغلال الآخرين، ومكانته وكسبه رهن بجهوده، والاشتراكية في جوهرها تقيم وزناً للفردية وجمال الحياة، وتفتح آفاقاً لا نهاية لها من منافذ التعبير عن النفس»[2].

والواقع أن المفكر معمر القذافي قد وعى أهمية دعم الفنان والعملية الفنية برمتها، فبين لنا حقاً من حقوق الفنان علينا قائلاً: «لا بد من أن نوفر له الظروف التي يتألق فيها ويبدع فعندما يكون الفنان فنه هو مصدر رزقه

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الفصل الثاني، حل المشكل الاقتصادي، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، الطبعة 26، 1999ف، ص 89.

(2) بدرالدين أبوغازي، الفن في عالمنا، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1973، ص 13.

يجب أن تكون مكافأته كافية لذلك، يجب إشباع حاجاته، لا مساومة ولا مماطلة ولا بيع ولا شراء ليس فيها فرق بين طبيب أو مخرج أو أي واحد آخر. كل واحد يحتاج إلى المنزل اللائق، ويحتاج إلى العلاج، ويحتاج إلى التعليم وإلى الأكل والشراب والملبس والمركوب هذه أشياء ليس فيها فرق بين إنسان وإنسان أبداً. لا بد أن تتم فيها المساواة في المجتمع الاشتراكي الجديد. يبقى بعد ذلك التفاوت في مدى ما يبذله كل واحد من جهد زائد عن الآخر».

ويرى الباحث أنه بالتطبيق الفعلي للنظام الاشتراكي وحده يضمن حرية الفرد، لأنه ينهي وإلى الأبد كل استغلال يمارسه إنسان على آخر.

ويستطرد المفكر معمر القذافي في تعداده لحقوق الفنان قائلاً: «الفنان من حقوقه، ومن مصلحة المجتمع، عدم تكليفه بخدمة عامة تؤثر سلباً في فنه»[1].

ومن الملاحظ أن العمل بهذا الرأي يسهم في الارتقاء برسالة الفن، ففي كثير من الأحيان يضطر الفنان لكي يكفل لنفسه العيش الكريم إلى أن يعمل في مجال آخر غير الفن، مجال يمكنه من إشباع حاجاته.

لذا يرى الباحث ضرورة العمل على وضع برنامج لرعاية الفن تتمثل في رعاية المواهب الفنية عن طريق نظام التفرغ وتوفير الأدوات والمواد الفنية بأسعار مشجعة ومناسبة، وتشجيع حركة المعارض، وإعداد مراسم للفنانين، والتوسع في شراء المقتنيات الفنية تشجيعاً للفنانين، واحتضان الفنون التلقائية، والأهم من ذلك كله منح جائزة باسم الدولة لنهضة الفنون، ومحاولة إحياء الفنون والحرف التقليدية، وتخصيص نسبة من تكاليف المباني العامة لتجميلها بأعمال النحت والتصوير والزخرفة.

(1) سلسلة (السجل القومي) 1979 ـ 1980ف، مصدر ذكر سابقاً، ص 530.

والمجتمع الجماهيري عموماً يشعر بحاجته الشديدة إلى الفنان والمعماري والشاعر والكاتب أولئك الذين يمكنهم أن يجعلونا نحس إحساساً شديداً بما للبشر من إمكانات.

إن كل نشاط خلاق يتطلب لازدهاره احترام كرامة الإنسان واحترام حرية التعبير.

والحق أن وظيفة الفن الجماهيري الكبرى هي تعميق الحياة وصدق التعبير عنها، ومن أجل ذلك فإن المطلب الأول والأساسي من الفنان الليبي في المجتمع الجماهيري هو مطلب الصدق لهذا المجتمع، ومعايشة حياته والاندماج فيه، وحين يتوافر للفنان الصدق لموضوعه يتحقق تعمقه للمعاني الكامنة وراء الأحداث واستنباط الرموز الوجدانية التي تربطنا بها، وهو ما نبّه عليه المفكر معمر القذافي فركز على الصدق في العمل الفني والاعتقاد فيه.. إيماناً منه بأن سمو فكرة الفن تتحقق في الصدق «يجب أن تنظروا إلى إنتاجكم هذا على أنه ليس للارتزاق ولا للوصول ولا للظهور، وإلا بدا تافهاً. إنك تمارس عملاً تعتقد فيه وليس لترتزق منه وهذا هو العمل الرائع»[1] فالعمل عندما يقوم به الشخص من قلبه يصبح متعة، ويعد أكثر وسيلة لإشباع الاحتياجات الحاضرة، بل يكون شيئاً يعطي للحياة قيمتها «وكأن الفن لغة تمثل فيها فكرة» الحقيقة أهمية كبرى[2].

فالقاسم المشترك لعظمة الفنانين هو التعبير الصادق عن العالم الخارجي. بالرغم من أن التاريخ يطلعنا على نماذج من الفنانين كانوا كندماء للملوك والأباطرة، يفعلون ويقولون ما لا يشعرون به، ولذا امتلأت

(1) سلسلة (السجل القومي) بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي الثاني عشر، 1980 ـ 1981ف، المكتب الشعبي للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، باريس، 1983ف، ص 194.

(2) زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 160.

لوحاتهم وأشعارهم بالمدح الرخيص، فلا اختلاف بينهم وبين الجواري اللائي كن مرغمات على إمتاع الملوك، رغم إرادتهن ولكن التاريخ يذكر لنا في مقابل هذا الصنف صنفاً آخر عرف كيف يحافظ على كرامته ولا يقول شيئاً لا يعتقد فيه حتى أن بعض الملوك كانوا يعاملون بعض فنانيهم معاملة الند للند وفي «تاريخ الفن العالمي لدينا أمثلة رائدة للبطولة الفنية كميكائيل انجلو الذي كان لا ينفذ إلا ما يشعر بصدقه»[1].

وهكذا فنحن نبحث في الفن عن شيء تقصر أدوات الحياة العادية أن تعبر عنه، فينبغي أن يكون الفن تعميقاً للإحساس بالحياة، لا مجرد تسجيل مباشر لأحداثها..

ولقد كان الفنان مستخدماً من قبل الكهنة والملوك عبر التاريخ، فكانوا هم أول من استخدمه فعمل الفنان في ورش فنية داخل المعابد أو القصور إما بصفته متطوعاً أو خادماً مدى الحياة.

ولعل ذلك نابع من إدراك الكهنة والأمراء قيمة الفن الكبرى في تكوين السلوك الإنساني والدور الخطير الذي يمثله فكانوا يطلبون عن الفنان أن يمثلهم بصورة فيها وقار وجلال ورفعة ويرغمونه على خدمة أغراضهم. وتقريباً كان دور الفنان في المجتمعات الرأسمالية نفسه، فكان يُعنى في تعبيره بأهواء طبقة خاصة يخاطب مزاجها وذوقها أما الفنان في المجتمع الجماهيري فمهمته تسمو على تبجيل فرد أو طبقة بعينها، وإنما تتمثل في توفير الثراء الروحي لكل الجماهير، أي لكل أفراد المجتمع الذين لا يستخدمونه، ولا يضعونه بأموالهم تحت سطوتهم، وإنما يتطلعون إليه ليوجه إليهم من خلال لغته الفنية خطابه، وهذا بطبيعته يفرض على الفنان عدم الاعتزال عن مجتمعه حتى يصدر تعبيره نابضاً بقيم حياته. ولا يعني

(1) أحمد حمدي محمود، ما وراء الفن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 60.

ذلك استخدام الفنان التشكيلي أسلوباً دارجاً في التعبير، وإنما كل ما يلزمه به هو الصدق في العمل «فالجماهير وهي تصنع حياتها تعبر عنها بأشكال مختلفة مبعثرة ومقطعة من واجبات الفنان صياغتها لتعطي معنى وتتحول بعد ذلك إلى قطعة من الحياة. بهذه الطريقة ما عاد يبقى فيه انفصام مثلما كان بين الجماهير وبين الفنان.. ما عاد يعمل حاجات ترفضها الجماهير، يطلع فنان تقول له الجماهير: لا لا.. وترفض ما يقدمه.. لماذا؟ لأنه لم يأت بفنه من الجماهير.. لكن عندما تعبر الجماهير عن أي شيء والفنان يصوغه هذا يجعل فيه اتصالاً روحياً بين الفنان الذي صاغ هذا الشيء وبين الجماهير»[1].

فالعمل الفني الناجح ـ في نظر معمر القذافي ـ هو الإنتاج المعبر الصادق الذي يمحو شتى الفواصل بين الفنان والجماهير، وهو أيضاً ذلك الإنتاج العامر بالأحاسيس والمشاعر التي توحد بين قلوب كل من يوجه إليها وتتسم بقدر كبير من الروحانية، ليصبح الفن بذلك ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، فالصورة الفنية عندما تكون صادقة ومعبرة عن أحاسيس الناس تصبح عندئذ غذاء روحياً للجماهير أي أن «الفنانين يأتون إلى العالم لا ليملؤوا بطونهم هم بل لكي يهيئوا غداً جديداً للبشرية»[2].

ومن مهام الفنان في المجتمع الجماهيري. التبشير بفكر النظرية العالمية الثالثة فكر الكتاب الأخضر الداعي إلى تحرير الإنسان من كل القيود وتأكيد سلطة الشعب، وتحقيق العدالة والمساواة بين الناس «هذا العمل المادي الذي أعمله، يحتاج إلى فنان يحوله إلى شيء فني يجسده في الفن، حتى بعد أجيال يصبح من ضمن التراث، حتى لو انتهت السلطة

(1) سلسلة (السجل القومي) المجلد الحادي عشر 1979 ـ 1980ف، المصدر السابق ذكره، ص 531.

(2) ألكسندر إليوت، آفاق الفن، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، طبعة ثانية، 1979ف، ص 53.

الشعبية، يبعث هذا الفن وهذا التراث وبقاءه معنا جيلاً بعد جيل، يكون لنا زاداً للانتصار من جديد للسلطة الشعبية والتغلب على الحاضر الذي يكون نقيضاً للسلطة الشعبية لكي نصنع به المستقبل. هذه مسؤولية الفنان أعني نحن نزرع ونقاتل وندرب ونصنع، هذه كلها حركات مختلفة وتعبيرات مختلفة، والفنان هو الذي يجسدها بعد ذلك»[1]. فمن واجبات الفنان ومسؤولياته تصوير حياة الجماهير وصور بذلها وكفاحها.

أيضاً من واجبات الفنان التي يضطلع بها في المجتمع الجماهيري والتي أكد عليها المفكر معمر القذافي هي استلهام التراث، وإبرازه في أعمال فنية مستوحاة من البيئة لتكون كسجل يعبر أصدق تعبير عن هويتنا وثقافتنا، علماً أن التراث هو مجموع القيم والإنتاج الثقافي والمادي الذي خلفه لنا السلف.

«من مسؤولية الفنان أن يبقى التراث حياً دائماً.. أعني أن تراث أي أمة هو زاد لها للتغلب على الحاضر ولصنع المستقبل» ولقد شبه ـ القذافي ـ التراث «بالماء» الذي يحتاج إليه الإنسان لاستمرار حياته ومؤكداً على أهميته قائلاً: «أي أمة تنقطع عن تراثها تموت. هذا شيء أساسي، كما أن الماء عندما ينقطع عن الإنسان يموت من العطش. أشياء مادية، ولكن فيه أشياء روحية إذا انقطعت تموت الأمة حتى لو كان أفرادها قاعدين يأكلون ويشربون، لكنها بيولوجية ليس لها معنى، حياة مادية».

أيضاً قد يكلف الفنان بإعداد مناهج المؤسسات التعليمية الفنية، ومن مهماته التزامه الصدق للموضوع والصدق للأسلوب، والاحتفاظ بالقيم العالية للعمل الفني، بيد أن طبيعة التحول في هذا المجتمع الجماهيري تتطلب وقفة جادة في آلية إخراج العمل الفني مع الحفاظ على قيمه الجمالية والفنية.

(1) سلسلة السجل القومي، المصدر السابق ذكره، ص 532.

فالفنان الذي يخاطب قلة خاصة سواء كانت حزباً، أو طبقة، أو فرداً يستطيع أن يقنعها بلوحة «الصالون». أما الفنان الذي يخاطب الجماهير لا الأفراد ويسعى إلى تنمية قيم الفن في أفراده فجدير به أن يهيئ الجو الخاص بهذا، ويفكر في طريقة اتصال أفضل بالجماهير، كالتهيئة «الجو المعماري» للعمل الفني. وذلك عن طريق تحقيق اللقاء بين العمارة والفنون الكبرى.

ولقد قدمت لنا المكسيك مثالاً يحتذى به في هذا المجال، فعندما قامت الثورة المكسيكية بقيادة زاباتا تحول وجه الفن ومصيره وطريقة اتصاله بالجماهير، على أيدي الفنانين إلى فن قومي يشارك بوظيفته الاجتماعية. في تعميق الفكر والوجدان وذلك لإيمانهم بأن لوحة «الصالون» لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها في ربط الجماهير بالفن، وأن مكان الفن ليس صالة العرض فقط، وإنما الحياة بأسرها، فانطلقوا إلى اللوحات الحائطية يخاطبون جموع الشعب، ولقد سجل ريفيرا وأوروزكو وسكويرز على الجدران حياة الشعب وكفاحه فارتبط الشعب بتاريخه وتراثه. ولقي معالم نفسه وهكذا لم يعد الفن حبيس المعارض، وإنما خرج إلى الحياة مع احتفاظه بأصالته وحيويته وقيم التعبير الفني.

وفي المجتمع الجماهيري يكون الفن ملكاً للجموع لا لبعض الأفراد، فـ «المجتمع الجماهيري مجتمع التألق والإبداع، ولكل فرد فيه حرية التفكير والابتكار، والإبداع، ويسعى المجتمع الجماهيري دأباً إلى ازدهار العلوم وارتقاء الفنون والآداب، وضمان انتشارها جماهيرياً منعاً لاحتكارها»[1].

(1) الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير، صدر بمدينة البيضاء يوم الأحد الموافق 12 من شهر الصيف "يونيو" 1988ف، الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير، صدرت بمدينة البيضاء يوم الأحد الموافق 12 من شهر الصيف «يونيو» 1988ف، مطابع روز اليوسف الجديدة، ص13.

وبما أن حق الإبداع ملك للإنسان وبالتالي الإنسانية جمعاء، فإحلال فكرة الملكية الشائعة للأعمال الفنية محل الملكية الخاصة للمجموعات الفنية هو مطلب جماهيري لإتاحة الفرصة أولاً لتحقيق الثراء الفني والروحي لكل الجماهير، وثانياً منع احتكار الفن والفنانين وحمايتهم من تجار الفن الاستغلاليين وهو ما يتطلب من المجتمع وضع التنظيمات التي تكفل عرض الأعمال الفنية وبيعها أو تيسر سُبل نشرها وعمل المستنسخات اللازمة لذلك على اعتبار أن «الفنان نفسه غير قادر على الإعلان عن المؤلفات التي يبدعها ولا على نشرها وإصدارها وبيعها وإلاً لما كان لديه الوقت على الإطلاق للإبداع»[1]. ولكي لا يلجأ الفنان لأجل كسب العيش والحياة الكريمة لبيع مواهبه، وتقديم ثمار إبداعه للتجار والناشرين وأرباب العمل الآخرين في الفن، فالمجتمع الجماهيري يكفل للعمل الفني حقه ونشره على الجميع حتى تكون الفائدة أعم، ويمنع احتكار هذا الجانب في مكان ما أو جماعة ما لأن حق الإبداع ملك للإنسانية جمعاء.

وعموماً فإن ما تطرحه النظرية الجماهيرية من توجهات لا تعني فرض هذا التوجه على الجماهير، وإنما هو توضيح لموقف قد يصبح اتجاهاً بصورة طبيعية دون أي ضغوط. وفي ذلك يقول القذافي ـ «الكتاب الأخضر لا يقول: اعملوا وإنما يقول هذا عسف، وهذا غير عسف مثل ميكافيللي الذي لم يقل أبداً أنا أؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة لكنه يقول: أنت تريد أن تصل إلى هذه الغاية استخدم هذه الوسائل التي تؤدي إلى هذه الغاية، ولا يقول إن هذا حرام أو هذا حلال أعني من ذلك أن ميكافللي في ذاته لم يكن شيئاً فهو يقول هذا خير وهذا شر، وحتى القرآن يقول لنا مثل هذا.. الذي يتبع هذا الطريق يمشي إلى الشر والذي يتبع هذا الطريق يمشي إلى الخير، فهو يوضح الخير والشر»[2].

(1) ليكال يولداشيف، قضايا البحث الفلسفية في الفن، مرجع سبق ذكره، ص 135.
(2) سلسلة السجل القومي، 1984 ـ 1985ف، مصدر سابقاً ذكر، ص 798 ـ 799.

تلك هي رؤية المفكر معمر القذافي للفن، التي حرص فيها على القول، إن الفن لغة راقية تتسم بطابع إنساني، وأن الفنان هو معلم في الحقيقة للجنس البشري، فهو لم يغفل الوظيفة الاجتماعية للفن، فدعى لأن يكون الفن دعامة من دعائم المجتمع، وقوة أساسية من قواه الإبداعية.

وبين لنا أيضاً أن العمل الفني ليس صدى لما يراه أو لما يحيط به بل هو صاحب نظرة أصلية، يعلو بها على عصره. غير أن أروع ما في رؤية القذافي للفن أنه لم يلزم الفنانين بفن موجه، فترك لهم حرية التعبير واختيار الأساليب الملائمة لتصوير رؤاهم وأحاسيسهم.

المصادر والمراجع العربية

1) إبراهيم، زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة، القاهرة،مصر، 1966ف.

2) إبراهيم، زكريا، مشكلة الفن، دار مصر للطباعة، القاهرة،مصر، 1959ف.

3) أبوغازي،بدر الدين، الفن في عالمنا، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1973ف.

4) البسيوني، محمود، قضايا التربية الفنية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985ف.

5) بيانكو، ميريلا، القذافي رسول الصحراء، دار الشورى، بيروت ـ لبنان، بدون سنة نشر.

6) توفيق، سعيد، عالمية الفن ومحليته، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992

7) حيدر، كاظم، التخطيط والألوان، جامعة بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، 1984ف.

8) الربضي، إنصاف، علم الجمال بين الفلسفة والإبداع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1995ف.

9) رضا، صالح، ملامح وقضايا الفن التشكيلي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1990ف.

10) سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي

الحادي عشر، 1979 ـ 1980ف، المكتب الشعبي للجماهيرية الليبية بباريس، 1983ف.

11) سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي الثاني عشر، 1980 ـ 1981ف، المكتب الشعبي للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، بباريس، 1983ف.

12) سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، المجلد السنوي السادس عشر، 1984 ـ 1985ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة الثانية.

13) سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثالث والعشرون، 1991 ـ 1992ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى.

14) سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث معمر القذافي قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثلاثون (ب) 1998 ـ 1999ف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى.

15) سيربنخ، فيليب، الرموز في الفن، الأديان والحياة، ترجمة: عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر، 1992.

16) الصباغ، رمضان، في التفسير الأخلاقي والاجتماعي للفن، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1998ف.

17) غاتشف، غيورغي، الوعي والفن، ترجمة: د. نوفل نيوف، مراجعة

سعد صلوح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت العدد 196، 1990ف.

18) قاسم، جميل، الفكر المحض، دار الأنوار للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، 2002

19) القذافي، معمر، الكتاب الأخضر، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، الطبعة السادسة والعشرون، 1999ف

20) القذافي، معمر، شروح الكتاب الأخضر، المجلد الأول، قيمة الإنسان، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، الطبعة السادسة، 1999ف.

21) كالديرون، أوراسيو، القذافي نقطة الانطلاق، ترجمة: د. أنور حسن طربيه.بيونس آيرس ـ الأرجنتين، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى، 1986ف.

22) مؤتمر الشعب العام بالجماهيرية العظمى، الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في عصر الجماهير، مطابع روز اليوسف الجديدة، صدرت بمدينة البيضاء يوم الأحد الموافق 12 من شهر الصيف «يونيو» 1988ف.

23) مجموعة من علماء الجمال السوفيات، مشكلات علم الجمال الحديث، قضايا وآفاق، ترجمة: فريق من دار الثقافة الجديدة، دار الثقافة الجديدة، 1979ف.

24) محمود، أحمد حمدي، ما وراء الفن، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993

25) نوبلر، ناثان، حوار الرؤية، مدخل إلى تذوق الفن والتجربة

الجمالية، ترجمة: فخري خليل، مراجعة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، 1992ف.

26) إليوت، ألكسندر، آفاق الفن، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، طبعة ثانية، 1979ف.

27) يوسف،عقيل مهدي، الجمالية بين الذوق والفكر، مطبعة سلمى الفنية الحديثة، بغداد ـ العراق، 1988ف.

28) يولداشيف، ليكال، قضايا البحث الفلسفية في الفن، ترجمه عن الروسية زياد الملاً، طبع في لبنان على مطابع دار المسيرة، بيروت، 1984 ف.

مستقبل فنون الأطفال
في فكر معمر القذافي

وسيلة علي محمص

المقدمة

إن دراسة الأطفال الموهوبين تعتبر من الدراسات النادرة في بلادنا، بالرغم من تأكيد قائد الثورة المستمر على ضرورة بناء الإنسان النموذجي الحر السعيد، والاهتمام بالأطفال ومواهبهم بصورة خاصة، ففي الوقت الذي نجد موضوع اكتشاف الموهوبين وصقل مواهبهم أصبح الشغل الشاغل للعديد من الدول في العصر الحديث، مهيئة لهم الفرص العديدة للتفوق، في الوقت الذي ما زلنا لا نولي رعاية الموهوبين واكتشافهم الأهمية الكافية، الأمر الذي أدى إلى انطفاء مثل هذه الشعلة لدى الكثير من المواهب خاصة وأننا نعيش عصر التقنيات والتطور العلمي والاختراعات التي نتاجها هو التفوق والموهبة.

هذه الورقة البحثية جاءت لدراسة المشاكل التي يعاني منها الأطفال الموهوبون وعن النقص في المراكز والمعدات التي تساعد في اكتشاف هذه المواهب وصقلها، والدفع بها للإبداع، ويمكن تلخيص ما يهدف إليه البحث في النقاط التالية:

1 ـ توضيح الدور الذي تلعبه الطفولة في بناء الأمة.

2 ـ توضيح الرؤية الفنية لفنون الأطفال والنظرة المستقبلية للأطفال في فكر معمر القذافي.

3 ـ توظيف فنون الأطفال بما يتمشى مع واقع الأمة العربية بطريقة مناسبة.

4 ـ اكتشاف المواهب الفنية وصقلها في وقت مبكر.

5 ـ تنمية الذوق والإحساس عند الأطفال.

هذه الورقة البحثية تكتسب أهميتها من الآتي:

1 ـ التعريف بنظرية المفكر المبدع معمر القذافي في هذا المجال.

2 ـ التنبيه إلى ضرورة أن يهتم المجتمع برعاية الأطفال الذين يعتمد مستقبل البلاد على تربيتهم وتعليمهم وتهيئتهم لتحمل مسؤوليتهم الوطنية والتربوية والإنسانية.

3 ـ توضيح الرؤية بالنسبة إلى أولياء الأمور لرسومات الأطفال وفهم طبيعتهم.

4 ـ مساعدة ورعاية الأطفال الموهوبين في مجال فن الرسم لزيادة كفاءتهم في الوصول إلى أرقى المستويات مبكراً في المؤسسات التربوية.

الدور الذي تلعبه الأسرة في بناء الطفل وفق «النظرية العالمية الثالثة»:

إن الكتاب الأخضر يحمل «نظرية تربوية» ركيزتها أنها تربية لا تتنكر للواقع وتعمل لاكتساب مهنة مناسبة، وتحرر الإنسان وتحقق التكيف الإيجابي وفق معرفة ملائمة وتحترم العقائد الدينية والمكونات النفسية

والاجتماعية للفرد والجماعة وجعلت من تربية الأم أطفالها مسؤولية مؤكدة على أنها مهمة طبيعية.

(فالتربية في فكر «معمر القذافي» تود أن تكون التربية شاملة، اجتماعية، وإنسانية)[1].

إن النظرية العالمية الثالثة ركزت كثيراً على إشباع الحاجات الحضارية نذكر منها:

- الحاجة إلى تكوين علائق اجتماعية متزنة ترتقي من خلالها الشخصية الفردية، والاجتماعية وميادين العمل والنشاطات، وهذا ما يوضحه الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة بقوله:

(القبيلة مدرسة اجتماعية ينشأ أفرادها منذ الطفولة على تشرب مثل عليا تتحول إلى سلوك حياة تترسخ تلقائياً كلما كبر الإنسان، على عكس التربية والعلوم، التي يتم تلقينها رسمياً، والتي تتلاشى تدريجياً، كلما كبر الفرد لأنها رسمية...)[2].

- الحاجة إلى الأمن والرعاية الاجتماعية والنفسية «التربية الأسرية»، النواة الأولى، ونجد هذه الحاجة في المقولات الخالدة التربوية (الأسرة بالنسبة للإنسان الفرد أهم من الدولة، الإنسانية تعرف الفرد، والفرد «الإنسان» السوي يعرف الأسرة، والأسرة هي مهده ومنشأه ومظلة اجتماعية)[3]. إضافة إلى تأكيد أن المجتمع المزدهر (هو الذي ينمو فيه الفرد في الأسرة نمواً طبيعياً وتزدهر فيه الأسرة

(1) مفتاح محمد عبد العزيز، ملامح نظرية تربوية، الكتاب الأخضر، روز اليوسف الجديدة، 1991م، ص 9.

(2) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الركن الاجتماعي، ص 134.

(3) المرجع السابق، ص 125.

ويستقر الفرد في الأسرة البشرية)[1].

إن التنشئة الاجتماعية الأسرية في هذه النظرية هي محور التعلم، والتنشئة، فهي تنشئة اجتماعية تهتم بعملية نقل القيم إلى الطفل في السنوات الأولى من حياته وفي الوقت نفسه الدمج في الحلقات الاجتماعية الأخرى كالقبيلة ثم الأمة إلى المجتمع العالمي «الإنسانية» وهذه نظرة ثاقبة في الحقل العالمي للتربية والتعليم والثقافة والحضارة (إن الأطفال الذين يساقون إلى دار الحضانة إنما يساقون جبراً... واستغفالاً وبلاهة طفولية، ويساقون إليها لأسباب مادية بحتة وليست اجتماعية، ولو رفعت عنهم وسائل الإجبار وبلاهة الطفولة لرفضوا دار الحضانة، والتصقوا بأمهاتهم وليس هناك مبرر لهذه العملية غير الطبيعية وغير الإنسانية، إلا أن المرأة ليست في وضع يناسب طبيعتها، أي أنها مضطرة إلى القيام بواجبات غير اجتماعية ومضادة للأمومة)[2].

كما اهتم الكتاب الأخضر بالأسرة باعتبارها نواة المجتمع ومن الطبيعي أن الأسرة تتكون من الأب والأم والأطفال، فعندما تكون الأسرة مترابطة ينمو الأطفال في جو صالح ويكونون رجال الوطن الصالحين وهذا ما تؤكده المقولة الخالدة[3] «الطفل تربيه أمه» وهذا يعني أن الوليد البشري يولد عاجزاً عن التكيف بنفسه مع البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة به. «فالأم هي مظلة الحضانة الطبيعية الصحيحة».

(1) المرجع السابق، ص 126، 127.
(2) المرجع السابق، ص158، 159.
(3) المرجع السابق، ص156.

فن الرسم في فكر «معمر القذافي»:

إن الفكر المبدع الذي أكد على أهمية احترام فنون الشعوب وتراثها بما تزخر به من معايير إنما يؤكد على احترام وتقدير عطاء الفنانين وإبداعاتهم بصورها المختلفة، لقد عرف القائد في حديثه التاريخي «الفن» بأنه لغة وهو تعبير عن فرح....أو عن تطلعات..... وعن أمانٍ، وعن أحلام وهو تعبير عن حقيقة الجماعة البشرية التي يعبر عنها الفنانون بأساليبهم الفنية، وهو تعبير عن التراث والمخزون الثقافي والفكري، فالصورة أكثر تعبيراً، فالمدرس إذا حول الدرس إلى لغة الفن تحول إلى رسوم، فإن التلميذ يستوعبه بسهولة وينجح فيه، إلى درجة أنه الآن بدأ التفكير أو ينبغي أن نفكر فعلاً في تحويل العلوم إلى لغة. وقد أوضح القائد في حديثه إلى الفنانين حيث قال: (بلاغتكم أنتم أكثر من أي لغة أخرى)[1].

ووصف الفنانين بأنهم هم المعلمون حيث قال «أنتم الآن أول معلم في الحقيقة للشعوب». وأكد على أن الفنان هو الذي ينقل الفن للجماهير وهو الذي يبني شخصية الإنسان الحر. وكذا ضرورة أن «نعلم أطفالنا التغني بالجماهير وللجماهير والثورة»[2].

فلماذا لا يكون هذا التغني بالفرشاة والألوان من خلال الفنان الصغير الذي يعمل بحرية كاملة لعمل رسومات يعبر بها عن الحرية والثورة.

ولقد دعا القائد مراراً إلى الاهتمام بالمواهب من الأطفال والشباب، فدورات البراعم والملتقيات الشبابية مجال واسع لصقل العديد من

---

(1) المرجع السابق، قائد الثورة، السجل القومي، ص1114، ص1115.

(2) معمر القذافي، السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث قائد ثورة الفاتح العالمية من سبتمبر العظيم، المجلد السنوي السادس عشر، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط2، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، المجلد رقم 16، 1984، 1985م.

المواهب في جميع المجالات، ومن أهم هذه الفنون مجال فن الرسم، فكثيراً ما تقام التظاهرات الفنية المفتوحة لرسومات الأطفال في مناسبات عديدة كعيد الطفل، والمناسبات الوطنية مثل عيد الثأر وكذلك المشاركات والتظاهرات التي تقام سنوياً للاهتمام والرفع من مستوى التذوق الفني الجمالي عند الأطفال، وذلك من خلال إبراز إنتاجهم الفني الذي يعتبر وسيلة لنشر طموحات الثورة عن طريق «الرسمة المعبرة» وذلك من أجل ترسيخ مبادئ ثورة الفاتح العظيمة والدعاية لها في الداخل والخارج.

إن العناية بالمواهب دليل على العناية بمنابع الإبداع والتركيز على إظهار الطاقات البشرية الهائلة، وما دام للموهوبين «طفولة» تختلف وتتميز في مظاهر عديدة عن طفولة غيرهم لذا نطلب من الباحثين والدارسين التنقيب عن مثل هذه الثروات الهائلة المتمثلة في الأطفال الموهوبين. ففن الطفل هو وسيلة يعبر بها عن أفكاره ومشاعره وعواطفه وهو المجسد الوحيد لمخيلته الحية. فالفنان الصغير يمكن أن يعطي سجلاً يوضح النمو العام للطفل ومحاولة لفهم سلوكه وشخصيته.

مستقبل الأطفال الأفضل:

إن الاهتمام بالطفل في مراحله الأولى، يعني الإسهام في تكوين شخصية المواطن أساساً، وبما أن الطفل يميل إلى حب اللعب واللهو والاستكشاف والحركة، فإن الرسم أو الفنون عموماً التي ينسجم بها الطفل من أهم الوسائل التربوية والتوجيهية والتعبوية الصحيحة نحو مستقبل أطفالنا الأفضل، فرسوم الأطفال: تعني[1] «كل الإنتاج التشكيلي الذي ينجزه الأطفال على أي مستوى كان، مستخدمين الأقلام والصباغات والألوان».

فمن خلال الإطلاع على بعض التجارب العربية والعالمية المختلفة

(1) سليم عوض الله، المهارات الفنية اليدوية، 1999م، ص26.

في تربية الأطفال فنياً، وما تهدف إليه أساساً من خلال المعرفة الفنية وطرق تدريسها، وما أكده العلماء، وما تم تقريره في المؤتمرات والندوات الفكرية والفنية، يمكننا القول إن مستقبل الطفل أصبح مرهوناً بمنهجية حديثة صحيحة ووفق الأسلوب العلمي لأجل تنمية قدرات الطفل، وإتاحة الفرص المناسبة وربط فن الطفل بواقع أمته وتاريخها وتراثها وحضارتها.

أهمية العناية بالأطفال الموهوبين:

قبل الدخول في إبراز أهمية الدور الذي تقوم به الطاقات الموهوبة في مجتمعنا لا بد من إعطاء تعريف مبسط عن الطفل الموهوب، فقد عرف على أنه «الطفل الذي يبدى إمكانية إبداع مستمرة في أحد الأنشطة الإنسانية القيمة»، ويعد الأطفال الموهوبون شريحة من شرائح المجتمع المهمة التي تسعى الدول المتقدمة إلى الاهتمام بها ورعايتها منذ اكتشافها مبكراً لغرض استثمارها وتوجيهها لخدمة المجتمع وتطوره. إن الأطفال الموهوبين يعتبرون هم النواة الرئيسية للإبداع والتقدم، التي علينا أن نرعاها ونهتم بها خاصة من قبل التربويين والبحاث فهؤلاء الموهوبون هم ثروة ثمينة في طريق تطور الأمة وتقدمها لأنها كنوز دفينة وحقيقية لها، حيث تنعقد عليهم الآمال وتبنى بهم الأحلام في حل الكثير من المشكلات التي تعترض مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي الحضاري.

ومن أجل هذا أصبح موضوع دراستهم من الموضوعات التي تلقى اهتماماً كبيراً في مختلف بلاد العالم.

فالأطفال الموهوبون هم طاقة وثروة البلاد الكبرى لضمان مستقبلها الحضاري المنشود ولأهمية هذه الفئة من المجتمع الإنساني المتحضر التي نادى معظم الفلاسفة والمفكرين بالاهتمام بها منذ القدم، فنجد الفيلسوف الكبير «أفلاطون» على سبيل المثال يؤكد في جمهوريته الفاضلة على التركيز الخاص للموهوبين في مجال فن الرسم وإيلائهم الأولوية الكبيرة حيث يوضح:

(أن الفنانين يجب أن يكونوا من الموهوبين الذين يستطيعون أن يشكلوا كل شيء في المدينة تشكيلاً جمالياً)[1].

ثم يؤكد على أن الصغار الذين ينشأون في مثل هذه البيئة الجمالية التي شكلها الفنانون إنما يتشربون بطريقة غير مباشرة في أثناء ترعرعهم في هذه البيئة القيم الجمالية من كل ما يحيط بهم وسيكون لها تأثيرها في سلوكهم، والأطفال الموهوبون يرون العالم على نحو غير تقليدي،إنهم يختلفون عن غيرهم من الأطفال في عواطفهم ومشاعرهم ومعاملاتهم وأفكارهم وهم يرون العالم بمنظار يختلف تماماً عن المنظار الذي يراه به الأطفال العاديون.

(واكتشاف الموهبة لا تتم بعملية عشوائية وإنما من خلال اتباع أسلوب علمي وبرنامج تدريسي منظم وطريقة خاصة تبدأ من البيت،المدرسة، والأنشطة المنهجية التي يكون لها دور فعال في إبراز المواهب المدفونة واكتشافها مبكراً، وإعدادها الإعداد الجيد والمناسب). فالتقدم الذي أحرزته البشرية في ميادين العلوم،و الفنون، والآداب، واكتشاف الفضاء، والصواريخ، لم تتم إلا بوجود هؤلاء العباقرة. ولكي نلحق بهذا الركب السريع نحن كمجتمع عربي بصفة خاصة، ومجتمع جماهيري بصفة عامة، علينا تعبئة الإمكانات البشرية قبل المادية بل يجب أن نركز على استثمار وتسخير أهم عناصر هذه الثروة وهم الموهوبون.

الخاتمة والتوصيات:

إن هذه الدراسة التي جاءت بشكل مبسط، تحتاج إلى إثراء أكثر بطريقة علمية وذلك ليسهل علينا عملية الكشف عن الأطفال ذوي القدرات الخاصة.

(1) جمهورية أفلاطون، حنا خباز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 25.

فقط أراد الباحث بشكل مختصر أن ينبه على الأهمية الكبيرة التي يجب أن نوليها للأطفال الموهوبين.

فالرسم عند الأطفال من النشاطات المهمة التي تعمل على إفساح المجال أمام الأطفال للتعبير عن ميولهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، كما يساعد على تنمية وعيهم ونشر طموحات الثورة العظيمة. وتجسيد فكر القائد في الرفع من مستوى الأمة نحو التقدم والتطور الحضاري.

من هذا المنطلق يستخلص الباحث بعض التوصيات لهذه الدراسة أهمها:

1 ـ إنشاء المراكز والمؤسسات المتخصصة بالمبدعين وتزويدها بمتخصصين في التربية الخاصة وخبراء في المجال التربوي والنفسي.

2 ـ الاكتشاف المبكر لذوي القدرات الخاصة من خريجي المؤسسات التعليمية وإخضاعهم للرعاية البدنية والذهنية والمعرفية والنفسية والاجتماعية.

3 ـ الاكتشاف المبكر للأطفال الموهوبين من بداية مرحلة رياض الأطفال وتوفير المستلزمات اللازمة للاهتمام الفعلي بتلك المواهب.

المراجع والمصادر

أولا ـ الكتب العلمية العربية

1 ـ القذافي، معمر، الكتاب الأخضر، الركن الاجتماعي.

2 ـ محمد عبد العزيز، مفتاح، ملامح نظرية تربوية، الكتاب الأخضر روز اليوسف الجديدة، 1991ف.

3 ـ سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي السادس عشر، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، الدار الوطنية، بنغازي، المجلد رقم 16، الجماهيرية، 1984ف، 1985ف.

4 ـ سلسلة السجل القومي، بيانات وخطب وأحاديث العقيد معمر القذافي، قائد ثورة الفاتح العالمية، المجلد السنوي الثاني والعشرون، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية، 1990ف، 1991ف.

5 ـ عوض الله، سليم، المهارات الفنية، 1999ف.

6 ـ خباز، حنا، جمهورية أفلاطون، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ثانيا ـ المجلات والدوريات

1 ـ قائد الثورة، الطفولة، مجلة ثقافية اجتماعية، تصدر عن اللجنة العليا للطفولة، العدد الأول، السنة الأولى، 1992ف.

أفريقيا بفنونها
"الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها"

آمال ميلاد زريبة

المقدمة

«قديماً كانت أفريقيا تقبع معزولة وسط مجاهل الغابات بعيدة كل البعد عما يجري حولها في العالم الخارجي لكنها كانت تقبع وسط حياة فنية مليئة بالزخم والحياة ـ كان الفن بكل شكل من أشكاله وسيلة التعبير المثالي التي ترافق الأفارقة طول مسيرة حياتهم وتترجم أفكارهم وطريقة تفكيرهم في الحياة»[1].

إن أفريقيا اليوم.. تموج.. بانطلاقات جريئة تشترك جميعها في الدعوة إلى استلهام المزيد من التعبير الأفريقي».

«كان المضمون في الفن الأفريقي... من أنجع الوسائل التي يواجه بها هذا الأفريقي عوامل المسخ الغربي لشخصيته وهو المادة التي يؤكد بها الأفريقي ذاته. فالفن هو المفتاح للدخول إلى الكثير من الجوانب التاريخية

---

(1) مقالة عبدالغني أمسوحلي من مجلة الحياة السياسية، مجلة السائح ورجل الأعمال العربي الدولية، السنة التاسعة، العدد 81، تموز 1991ف، ص 34 ـ 36.

والروحية في أفريقيا»[1].

ولعل الفن الأفريقي يمتلك من العناصر الأساسية للفن العظيم، فهو «فن بدائي يتمتع بقدر كبير من الحسية التي هي جوهر الفن الأصيل»[2].

«وهو في أساسه فن يتسم أسلوبه بالتشكيل المطلق، وخاصة تلك المنحوتات والأقنعة والرسوم والتماثيل والأدوات الاحتفالية أو الطقوسية التي أنتجتها الشعوب الأفريقية البدائية.

والفن الأفريقي وثيق الصلة بالدين وكثير من نماذجه يعتبر ثمرة تقديس من الأفارقة البدائيين للأسلاف، وإيمانهم بقدرة الأرواح على نفع الناس أو إنزال الأذى بهم.. وأنها ترمز إلى الخصوبة والرخاء.

أضف إلى هذا تميزه بالألوان الزاهية التي لها دلالاتها الخاصة، والتي لعبت دوراً مهماً في رمزية وقوة الفن الأفريقي، ولعل السمة البارزة لفن الأقنعة هو تمثيلها لحياة القبيلة وطقوسها، فهي تحمل مضامين خاصة تحيل إلى وظائف اجتماعية معينة واستعمالها في مناسبات طقوسية خاصة. تضيف جمالاً لسحر الأقنعة أكثر بكثير من الناحية الجمالية، فهي عندهم الرابط بين الإنسان وعالم الأرواح، الناقل للأفكار والقوى التي تدعم وتقوي الترابط الاجتماعي، والرمز الخالد للمعتقدات الأفريقية، الذي من خلاله تتجسد الثقافة الحسية والخرافية.

لقد وجد الأفارقة في التماسك أو القناع الوسيلة التعبيرية الأقدر على احتواء أفكارهم ومضامينهم كما وجدوا فيها اللغة الفنية الأقرب إلى

---

(1) عبدالرحمن شلقم، أفريقيا القادمة، دراسة في الفن والآداب والتاريخ الأفريقي، ص 64 ـ 66.

(2) د. محسن محمد عطية، الفن والحياة الاجتماعية، دار المعارف المصرية، ص 140.

نفوسهم «إن الشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها»[1].

وبناءً على هذا كونت القبيلة سلوكاً لأفرادها يتحول إلى تربية اجتماعية أفضل وأنبل من أي تربية مدرسية.. والقبيلة مدرسة اجتماعية ينشأ أفرادها منذ الطفولة على تشرب مثل عليا تتحول إلى سلوك حياة تترسخ تلقائياً كلما كبر الإنسان، على عكس التربية التي يتم تلقينها رسمياً والتي تتلاشى تدريجياً كلما كبر الفرد لأنها رسمية، ولأنها إجبارية. ولأن الفرد يعي أنها ملقنة له.

وهكذا فالشعوب لا تنسجم إلا مع فنونها وتراثها ولا تنسجم مع فنون غيرها حتى ولو كانت هذه الشعوب، المختلفة تتكلم حالياً لغة واحدة. وهذا يظهر حتى بين جماعات الشعب الواحد.

إن فهم فنون الغير نتيجة معرفة لغته ليس مشكلة... ولكن المشكلة هي استحالة التكيف الوجداني الحقيقي مع لغة هذا «الغير» وهذا سيبقى مستحيلاً إلى أن ينتهي أثر الوراثة في جسم الإنسان المتحول إلى اللغة الواحدة.

عن الأحاسيس والألوان سيبقى التعبير عن كل هذه الأشياء بنفس اللغة التي يتكلم بها كل شعب تلقائياً، وسيبقى السلوك حسب رد الفعل الناشئ من الإحساس الذي تخلقه اللغة في فهم صاحبها.

فالقناع إذا يخفي ذلك الشيء الجليل وهو الوجه البشري أي الشكل الطبيعي المشكل من عند الله، فشيوعه منذ الأزل يجعل للخوض في هذا الموضوع صعوبة تتباعد من حيث التطرق المادي، اللغوي، الشكلاني أو الديني العقائدي.

(1) معمر القذافي، الكتاب الأخضر، الفصل الثالث، الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة.

فعند الأفريقيين مثلاً تكون الأقنعة غالباً ذات صبغة احتفالية وتستعمل في المناسبات الدينية ومواكب الفن والرقصات المعبرة عن الخوف من قوى الطبيعة أو عند ترقب المطر وهي أيضاً عبارة عن وسيلة تقديس من الكهنة ورجال الدين الذين يستنجدون بها للالتقاء بالآلهة والتقرب منها ومعرفة الغيب.

فعند موت أحد أفراد القبيلة وخاصة إذا كان من الكهنة أو رجال الدين يكلف كبير الكهنة نحاتاً مشهوراً بإنجاز قناع تعبيراً عن أين ستسكن روح الميت بعد القيام باحتفال يرتدي خلاله جل الحاضرين أقنعة ظناً منهم أنها تؤذي الأحياء فهم يخفون حقائقهم ليظهروا بمظهر مغاير للواقع ويرقصون رقصات الشعائر الدينية ثم تعلق الأقنعة في كهف إلى الأبد.

هكذا أبدع أجدادنا الأفارقة أشكالاً فنية بلغت حداً من الأصالة جعلها تلقي بتأثيراتها الظاهرة حتى على الأعمال الفنية المعاصرة، وتحول الفن الأفريقي إلى منبع فياض تستقى منه الصورة والأفكار.

وهنا يكمن الشيء الجوهري في رأيي بالفن في مراحل تطوره في لحظة من لحظات الإنسانية، يكمن سر قدرته على التأثير في فترات أبعد من اللحظة التاريخية التي نشأ فيها وبذلك يكمن سحره الدائم.

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر العربية:

1 ـ القذافي، معمر، الكتاب الأخضر، الفصل الثالث، الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة.

2 ـ شلقم، عبدالرحمن، أفريقيا القادمة، دراسة في الآداب والتاريخ الأفريقي، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

3 ـ عطية، محسن محمد، الفن والحياة الاجتماعية، توزيع دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1997ف.

ب ـ المجلات:

1 ـ أمسوحلي، عبدالغني، مقالة هذا الإبداع القادم، مجلة السائح ورجل الأعمال العربي الدولية، السنة التاسعة، العدد 81، تموز 1991ف.

الطلبة المشاركون في المؤتمر العلمي الأول لطلاب الدراسات العليا حول (مساهمة معمر القذافي في الفكر الإنساني المعاصر)

ر.م	الاسم	المؤهل العلمي	المؤسسة العلمية
.1	أسماعيل خليفة قدارة	طالب دراسات عليا	جامعة الجفارة - كلية القانون
.2	حسين لطفي لابة	طالب دراسات عليا	جامعة نانسي 2 الفرنسية – كلية اللغات
.3	حسن إبراهيم ضوء	طالب دراسات عليا	المدرج الأخضر
.4	علي المهدي حامد	طالب دراسات عليا	المدرج الأخضر
.5	عبد الله أنبية	طالب دراسات عليا	جامعة مصراتة – إدارة أعمال
.6	وسيلة على محمص	طالبة دراسات عليا	أكاديمية الدراسات العليا - فنون تشكيلية
.7	حميدة المهدي الصقر	طالبة دراسات عليا	كلية الفنون الجميلة - فنون تشكيلية
.8	هيام ميلاد زريبة	طالبة دراسات عليا	أكاديمية الدراسات العليا - فنون تشكيلية
.9	آمال ميلاد زريبة	طالبة دراسات عليا	أكاديمية الدراسات العليا - فنون تشكيلية

الفهرس

